الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربيّة وآدابِها

الحوارُ الإقناعيُّ في القرآنِ الكريمِ
قِصّةُ مؤمنِ آلِ فرعونَ أُنموذجاً

مذكّرةٌ مكمِّلةٌ لِنيلِ شهادةِ الماستر في اللُّغةِ العربيَّةِ وآدابِها

تخصصُ: علومِ اللِّسان

إعداد الطالبَين:
– عبد المؤمن علي
– قية مسعود

إشراف الدكتور:
– عبد الكريم حاقة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
العزوزي حرزولي	أستاذ مُحاضِر– أ	جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي	رئيساً
نصر الدين وهابي	أستاذ مُحاضِر– أ	جامعة الشّهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشاً
عبد الكريم حاقة	أستاذ مُحاضِر– أ	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفاً

العام الجامعي: 1439/1438هـ - 2017 /2018م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الحوارُ الإقناعيُّ في القرآنِ الكريمِ
قِصّةُ مؤمنِ آلِ فرعونَ أُنموذجاً

مذكرة مكمِّلة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبين:
– عبد المؤمن علي
– قية مسعود

إشراف الدكتور:
– عبد الكريم حاقة

العام الجامعي:
1439/1438هـ - 2017 /2018م

قال تعالى: ﴿ وجادلهم بالتي هي أُحسن ﴾

النحل: 125.

شكر وعرفان

هو اللهُ أهلُ المحامدِ والثَّناءِ والشُّكرِ كلِّه، له من الشكر ما يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافئ مزيده، وله الحمد أن سدَّد وهدى الخُطى فخرج هذا العمل بأيده وحوْلِه في هذه الصورة بعد أن لم يكن سوى فكرة تساور البال، وعلى رسول الله ﷺ أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وذلك هو شكره، فلَهو أفضلُ منْعمٍ وخيرُ هادٍ بعد اللهِ ربِّه، ولأن الله الجليل يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة 237، فإن علينا ومنَّا لوالدينا الأكارم حقُّ الشكر أنهم أصدق مُعين وأَوْثقه، فالله العظيم يقول: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ لقمان: 14، ولأن نبيَّ الله ﷺ يقول: «**من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عزَّ وجلَّ**»، ويقول: «**من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»، فإننا نتوجه بالشكر الجزيل لمن كان لنا خيرَ دليل وأعزَّ سندٍ في هذا البحث بتوجيهاته القيمة ونصائحه الهادفة، حتى اكتمل ورأى النور، إنه أستاذُنا الفاضل **عبد الكريم حاقة**، من قَبِل الإشراف علينا فوفى لنا الذي به وعد وتَفضَّل، فجزاه الله عنَّا خير ما جازى معلِّما عن تلميذه، وإلى كل من علمنا حرفا، وبث فينا روح المعرفة وحب الاطِّلاع من داخل الجامعة وخارجها، وليس يفوتنا بحال أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للأخ الكريم والحبيب الغالي محمد بوعمرة حفظه الله، والذي لا يدري إلا اللهُ كبيرَ فضلِه وإحسانِه لنا، وجزيلُ الشكرِ وخالصُه مَوصولٌ إلى الذِين كانوا لنا السَّندَ العظيمَ في إتمام هذا العمل، إلى رجالاتِ الجوهرةِ الفريدةِ دارِ الإمام مالك للحديث النبوي بهذه المدينة الفاضلة، مدينة الوادي العريقة، إداريّيْن ومؤطرِين وطلبة، فقد كفَونا حقًّا عناء جوانب كثيرة منه فأسهم في ذلك كلّ من مقامه، وبالذي كان بوسعه، ونخص بوافر الشكر من معلميها الأستاذَ الفاضل شيخنا "محمد ياسين عمّوري" المدير والمعلم لها وبها، ومن طلبتها النجباء أخوينا الكريمين "سفيان مسعودي" و"مصعب فالح" فبارك الله فيهما من صديقين وأخوين وفيّين وأجزل لهما المثوبة والجزاء، ولكل من كان معنا بقلبه حاضرا فما غاب عنا غير اسمه.

إهداء

إلى أَحَقِّ النّاسِ وأَوْلَاهُم بصُحبتِنا، والِدِينا الأَفَاضِلِ، إلى الَّذِينَ قال فِيهم اللهُ تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ {الإسراء 24}، نُهدي هذا العملَ، وإلى دُعَاةِ الحَقِّ الصَّامِدِينَ، وإلى معلِّمي الناسِ الخير حيث كانوا، وإلى طَلَبَةِ العِلمِ المخلصِين، وإلى حَفَظَةِ الوَحيَينِ الشَّرِيفَينِ، – كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ –، وإلى كُلِّ مُوَحِّدٍ، وإلى كُلِّ مضطهَدٍ ومضحٍّ في سبيل دينِ اللهِ القَويم.

مُلَخَّصُ الدِّرَاسَة:

تسعى هذهِ الدِّراسةُ إلى معرفةِ أسلوبِ الحِوارِ القرآنيِّ، وقد انطلقْنا من خِطّةٍ أَدْرجنا فيها فصلينِ؛ تناولنا في أوَّلِهما: المفاهيمَ النَّظريَّةَ للحِوارِ الإقناعيِّ، وفيه عقَدْنا مبحثينِ، الأوَّلُ منهما عرَّفْنا فيهِ بالحِوارِ وبالإقناعِ، وبالمصطلَحاتِ القريبةِ من الحِوارِ، وبَيَّنَّا فيهِ عِلاقةَ الحِوارِ بهذهِ المصطلَحاتِ، وتَحدَّثْنا في الثَّاني عن آدابِ وأهدافِ وأهميَّةِ وأساليبِ الحِوارِ، وعن آلياتِ الإقناعِ؛ وجاءَ الفصلُ الثَّاني الموسومُ بـ: تحليلِ آلياتِ الإقناعِ في قِصَّةِ مؤمنِ آلِ فرعونَ، للَّتطبيقِ على آليَّاتِ الإقناعِ في هذه المدوَّنةِ، فحَوى مبحثينِ تطبيقيَّيْنِ خُصَّ الأَوَّلُ مِنهما بالبحثِ في الآليَّاتِ البلاغيَّةِ حيثُ عَرَّفْنَا فيهِ بقِصَّةِ المؤمنِ ودرَسْنا فيهِ ألفاظَ التَّعليلِ والأفعالَ اللغويَّةَ والوصفَ تطبيقيّاً، وكذلك دراستُنا في المبحثِ الثَّاني: الَّذي خُصَّ بالبحثِ في الصُّورِ البيَّانيَّةِ والمحسِّناتِ البديعيَّةِ، وقد تَوصَّلْنا في هذهِ الدِّراسةِ إلى جملةٍ من النَّتائجِ كان أهمُّها أنَّ الحِوارَ الإقناعيَّ القرآنيَّ أَرْقى نماذجِ التَّواصُلِ كلِّها وأعْلاها حُجَّةً وبَيَاناً، ومدوَّنتُهُ أَغْنى وأَغْزرُ النَّماذجِ مادَّةً لغويَّةً وأفضلُها أُسلوبا.

Résumé de l'étude:

L'objectif de cette étude est d'analyser le dialogue coranique et cela suivant un plan comportant deux chapitres. Le premier portant sur les notions théoriques du discours convictionnel là ou on abordé deux chapitres. Dans le premier, on a donné les définitions du dialogue, de la conviction et des termes relatifs aux sujets ainsi qu'à la relation entre ces termes et le dialogue. Dans le deuxiéme chapitre on a présenté l'importance, les objectifs et les styles du ainsi que les mécanismes de la conviction. le deuxieme chapitre étant intitulé analyse des mécanismes de la conviction dans l'histoire du croyant de la famille de pharaon en vue d'une application aux mécanismes de la conviction. Ce chapitre contient deux themes d'aspect pratique. le premier est consacré aux mécanisme rhétoriques alors que la deuxieme porte sur la métonymie. Le principale résultat de cette étude est que le dialogue coranique convictionnel est la meilleure forme de communication vue aux raisons logiques qu'il porte.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى الآل والصحب، ثم أمَّا بعد:

فإنَّ الحوار في عمومه محور سامٍ من محاور التعارف والتعاون البشري وصوره الحميدة في المجالات قاطبة، وهو في اللغة موضوع رئيس وأساس، فلا تفاهم إلا بالحوار، أو إن شئت فقل بالتخاطب أو التداول أو التواصل أو المحادثة...، وهو في الإسلام عنوان التعارف والالتقاء، ولا أروع ولا أبلغ من نموذجه الأسمى والأكمل ألا وهو حوار القرآن الكريم، إنه بحقٍّ أنبلُ الحوارات وأرقاها وأعظمها تهذيباً، وأفضل الحوارات بلاغة وفصاحة، وأسلوب التحاج والإقناع فيه بالغ المنتهى في الروعة والحسن والجزالة، وكيف لا وهو كلام الله تعالى الثابت عن ذاته العليَّةِ، وكلامهُ سبحانه على ألسنة عباده: ملائكته وأنبيائه وأقوامهم إنسهم وجانهم مؤمنهم وكافرهم بَرِّهم وفاجرِهم، وعن أهمية الموضوع فإن الحوار (التواصل) هو قوام اللغة وأساسها الأول فلا تفاهم ولا تعايش إلا بالحوار، أضف إلى ذلك أنه اليوم عماد العديد من النظريات اللسانية مثل اللسانيات التداولية، ولسانيات الخطاب والحجاجيات، والحوار الذي إيّاه نعني هو الحوار الإقناعي الهادئ الهادف البَنَّاء والمثمر الذي نزلت به الرسالات السماوية ودعت إليه، لا حوار الإكراه والإرغام والتجبُّر الذي نبذه القرآن الكريم ونهى عنه، وما يشهده عالمنا المضطرب من نفور عن الحوار الجادِّ والعادل ونبذٍ له عظيمٍ في هذا العصر بالأخص دليل تلك الأهمية، فهو حَلٌّ جَيِّد في كل المجالات إن السياسيُّ أو الأسريُّ أو التعليميُّ...إلخ؛ ومن أبرز الأهداف وراء هذه الدراسة الدعوة إلى إعمال الحوار الأسري، وإلى تفعيل الحوار التعليمي، وإقرار مبدإ الحوار الإقناعي الشفاف والنزيه بين الأنظمة الحاكمة والشعوب، وقد اخترنا له بالذات حوار الداعية المؤمن صاحب موسى مع فرعون، ولقد كان هدف الحوار القرآني الأسمى هو الهداية، أي الإقناع بإخلاص العبادة لله وحده، والكفِّ عن مشاقَّتِه ورسلِه، وهو ما تَجسَّدَ في قصة مؤمن آل فرعون، التي صوَّرت لنا دعوة الرجل المؤمن لفرعونَ وقومِه، وقد جاء بحثنا هذا لأجل مزيد التعرف على أسلوب الحوار في القرآن الكريم وتذوُّقِه.

وكان عنوانه موسوما بـ: **الحِوار الإقناعِيّ في القرْآنِ الكريمِ – قِصَّة مؤمنِ آلِ فرعونَ أُنموذجاً –**، وبناءً على ما قد سبق فقد انطلق هذا البحث من إشكال رئيس هو:

أيُّ أساليبِ الحِوارِ انتَهَجَ القرْآنُ الكريمُ فيْ دعْوَتِهِ النَّاسَ إلى الإسلامِ؟ ومما تفرع على هذا الإشكال أسئلة من ضمنها:

- كيف التزم القرآن الكريم بآداب الحوار الإقناعي؟ وهل للحوار الإقناعي من أهمية في مخاطبة الناس ودعوتهم؟ أم أن لحوارهم أسلوباً آخر أفضل من هذا الأسلوب وأجدى؟، ثُم ما هي آليات الإقناع الموجودة في المدونة التي اتخذْناها أنموذجاً للدراسة، وهي قصة مؤمن آل فرعون؟
- وقد كانت لاختيار هذا الموضوع تحديدا أسباب عدّة وهي:
- أسباب ذاتية تمثلت أساساً في: الإعجاب بهذا الموضوع والرغبة في التعرف على أهم جوانبه، ومن ثم السعي إلى تجسيد مبادئه، فليست تخفى ولو على قليل النظر الحاجَةُ الماسَّة للحوار في كل عصر وفي هذا العصر بالأخص، العصرُ الذي أضحى مليئا بأبشع أنواع القهر والتسلط على الأبرياء، والرغبة فيما عند الله من ثواب لمن أسهم ولو بالقليل في خدمة كتابه الكريم، ومن خدمته دراسةُ أساليبه وبيانُ جمالياتها وقوتها.
- وأسباب موضوعية كان من أهمّها: نوعية الطرح في هذا الموضوع بشقيه: "الحوار" و"الإقناع"، في اللسانيات الحديثة، فأما الحوار فإنه وإن بدا قديما قدم الإنسان ذاته من جهة أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع ولا تستقيم حياته إلا بالتعارف مع غيره من الشعوب والقبائل كما بين الله تعالى ذلك وحضَّ عليه في محكم تنزيله، والسبيل إلى ذلك هو الحوارُ، فإنه من جهة أخرى يختلف في دراسته عما سبق، وذلك بالنظر إلى النظريات اللسانية المتعددة التي تعنى بدراسته اليومَ، وبعضُ زوايا الدراسات والنظريات المطبَّقة عليه في العلوم اللسانية لها من ألون المناهج والأدوات ما تفترق فيه عن غيرها، وكذلك الإقناع فإنه هو الآخَر وإن كان أسلوباً أساسياً في كل الكتب السماوية الصحيحة، وديدنا فيها، وفي الكثير من الأمم والحضارات، وأبرزُها اليونان الذين كان لهم السبق في التقعيد لبعض العلوم، كالمنطق والفلسفة والخطابة والحجاج مع أرسطو والسفسطائيين وغيرهم،

– ومن أولويات الخطابة والحجاجِ الإقناعُ –، فإن دراسته في بحوث الحجاج الحديثة وفي البلاغة الجديدة مع أمثال "بيرلمان" و"تيتيكا"، وعند بعض اللسانيين العرب اتخذت منحىً آخر في البحث، ومن الأسبابِ أيضاً الرغبةُ في المزاوَجة في هذا الموضوع بين الطرح اللساني الحديث والطرح القرآني المقدس عسى أن يُفيد ذلك في هذ البحث، لما للقرآن الكريم من شرفٍ على سائر الكلامِ، شرفَ اللهِ قائلِهِ على سائر الموجودات، فمن أجل ذلك وقع اختيارنا للقرآن الكريم كأنموذج للتطبيق.

وللإجابة عما أسلفنا بيانه من قبْلُ من إشكالٍ اتَّبَعْنا الخطة الآتية الممثلة في فصلين اثنين مفتتَحٌ كل واحد منهما بتمهيد، تسبقهما بالطبع بمقدِّمة، وتتلوهما خاتمة:

فأما الفصل الأول – النظري – فقد كان بعنوان: **المفاهيم النظرية للحوار والإقناع**، وتضَمَّن مبحثينِ أوَّلُهما عنوانه: تحديد المصطلحات، وثانيهما عنوانه: أسس الحوار الإقناعي ومرتكزاته، وأما الفصل الثاني – التطبيقي– فقد كان بعنوان: **تحليل الآليات الإقناعية في قصة المؤمن**، وتضمن هو بدوره مبحثين اثنين فكان الأول بعنوان: الآليات اللغوية، وكان الثاني بعنوان: الآليات البلاغية، وقد سعينا جهدنا إلى الربط بين الشِّقِّ النظري والشِّقِّ التطبيقي، من خلال بيان مدى التزام الداعية المؤمن صاحبِ موسى عليه السلام بآداب وأسلوب الحوار الإقناعي في دعوته قومه إلى الإيمان بالله وبموسى عليه السلام، ومن خلال بيان آليات الإقناع التي استخدمها في محاوَرة قومه، لتأتي الخاتمة أخيراً بأهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة، تعقبها توصيات ذكرنا فيها جملة من الاقتراحات؛ متبعين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي الذي فرضته طبيعة هذه الدراسة كونه المنهج الأنسب لها، وقد اعتمدنا في هذا البحث على وصف نموذج وموضوع الدراسة الذي تجلى فيه الحوار الإقناعي البنَّاء، ثم قمنا بتحليل نموذجه وهو قصة مؤمن آل فرعون، وبيَّنَّا ما فيها من حوار إقناعيّ؛ وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع بعد القرآن الكريم – مدوَّنة البحث –، مجموعةً من المصادر والمراجع، من أهمها: كتاب استراتيجيات الخطاب لـ: عبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتابا طه عبد الرحمان: اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، و: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، وكتاب التحرير

والتنوير للطاهر بن عاشور، وأما عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع بشقيه: "الحوار" و"الإقناع" فهي فيما نعلم قليلة، وما وجد منها من دراسات فهو في عمومه يدعو إلى مزيد الدراسة لهذا الموضوع لإثرائه وإتمام البحث في جميع جوانبه لجِدَّته وثراء مادَّته، ومن الكتب التي سبقت إلى دراسة هذا الموضوع كتاب بلاغة الخطاب الإقناعي لـ: محمد العمري، وكتاب مفرد لهذه القصة بعنوان: مؤمن آل فرعون ودروس في الدعوة لـ:محمود محمد عمارة، وكتاب بلاغة الإقناع في المناظَرة لـ: عبد اللطيف عادل، ومن المذكرات مذكرة بعنوان: الفئات الحجاجية ودورها الإقناعي في الخطاب القرآني لـ: رحمة قديري بإشراف الأستاذة مسعودة الساكر.

ولقد واجهتنا بعض الصعوبات كان من أبرزها شساعة موضوع الحوار وتشعُّبه، وهو الأمر الذي حتَّم استنفاذ جهد ووقت كبيرين في الإلمام بأهم قضاياه لأن ذلك أدعى لتمام فهم الموضوع وإيراد أهم مسائله، كما أن موضوع الحوار محور وقضية مشتركة بين مختلِف العلوم فكل باحث يوجه بحثه فيه الوجهة التي يريد ويقصد، ومن العقبات صعوبة التطبيق على آليات الإقناع بوصف الإقناع والحجاج موضوعان حديثَي الطرح في علوم اللغة، وخصوصا عند العرب، ومن الصعوبات كذلك ما تعلق بإطلاق الأحكام على النص القرآني مدوَّنة البحث، لكن الذي أعان في تجاوز ذلك بعد الله تعالى، هو الاسترشادُ بأهل الذكر وذلك هو صريح دعوة الله تعالى، والاستئناسُ بأوثق التفاسير وعرض بعض معلومات التفاسير الحديثة على أمهات كتب التفسير، متى ما شئنا الأخذ من الجديد بغرض تنويع المصادر أحيانا وإشراك الدراسات الحديثة في التفسير، وبغرض زيادة التفصيل أحياناً أخرى؛ وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل: عبد الكريم حاقة الذي شرَّفنا به الله فكان المشرفَ علينا، فله منا وافر الشكر وصالح الدعاء على توجيهاته السديدة ونقده البَنَّاء لهذا الموضوع في سبيل إنجاحه، وَكُلّنا أمل في أن يكون هذا العمل في المستوى المطلوب، والشكر موصول مسبقا للأساتذة الأفاضل أعضاء لجَنة المناقشة على ما سوف يتكرمون به ويتفضلون إن شاء الله من قراءةٍ وتقييم لهذا البحث، وهو ما من شأنه أن يُبعد عنه ما قد يعتوره من نقائص وأخطاء، واللهَ نسأل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم؛ ذلك وإن كنا قد قصَّرْنا فحسبنا أننا قد بذلنا في هذا البحث ما كان

بوسعنا من جهد، وإن كنا قد أَصبنا فذلك بفضل الله وتوفيقه، فله الحمد في المبتدى والمنتهى، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه المصطفى وعلى جميع آله وصحبه، وعلى من نهج نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

الفصل الأول

الفصـــل الأول: المفاهيم النظرية للحوار الإقناعي

تمهيد

ولقد تضمن هذا الفصل مبحثين اثنين، واشتمل كل مبحث بدوره على عدة مطالب، وتتمثل محتوياته وعناصره في الآتي:

المبحث الأول: تحديد المصطلحات

واندرجت تحته المطالب التالية والتي حوت بدورها عدة فروع:

المطلب الأول: مفهوم الحوار

المطلب الثاني: مفهوم الإقناع

المطلب الثالث: المصطلحات ذات الصلة بالحوار

المطلب الرابع: العلاقة بين الحوار والمصطلحات القريبة منه: (الجدال والمحاجَّة والمناظَرة)

المبحث الثاني: أسس الحوار الإقناعي ومرتكَزاته

وانبثقت عنه المطالب التالية:

المطلب الأول: آداب الحوار

المطلب الثاني: أهداف الحوار

المطلب الثالث: أهمية الحوار

المطلب الرابع: أساليب الحوار

المطلب الخامس: آليات الإقناع

يعتبر الحوار موضوعا هاما من مواضيع اللغة ومباحثها، وهو صميم كثير من الدراسات اللسانية الحديثة كلسانيات الخطاب واللسانيات التداولية والحجاجيات وغيرها، "ولقد ورد مصطلح الحوار في التنزيل الحكيم بلفظه ومعناه في غير ما موضع فأما وروده بلفظه ففي ثلاث آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ الكهف: 34، وقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ الكهف: 37، وقوله أيضا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ المجادلة: 1"[1]، وقد جاء في كتب التفسير أن كلمة ﴿تَحَاوُرَكُمَآ﴾، تعني التخاطب ومراجعة الكلام، يقول أبو الحسن النيسابوري: "المعنى في ذلك: تخاطبكما ومراجعتكما الكلام"[2]؛ "وأما وروده بمعناه فكثير في القرآن الكريم، ومما ورد في ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ العنكبوت: 46، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ هود: 74، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ الحج: 3"[3]، ولقد عُني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، وذلك أمر لا غرابة فيه أبدا "فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع، ففي القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، فعلى سبيل المثال لا الحصر: حوار رب العزة والجلال مع الملائكة الأبرار وحواره مع إبراهيم الخليل عليه السلام وحوار نوح عليه السلام مع قومه"[4]؛ وقد شرع لنا الدين الإسلامي الحنيف بل وأوجب علينا التعاون عن طريق المحاورة لحل النزاعات الحاصلة بيننا محكومين وحكاما، وآباء وأبناء، ومعلمين ومتعلمين، ولا يتأتى

---

[1]- إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، الحوار والمناظرة في الإسلام، أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد46، محرم، 1430هـ، ص76.

[2]- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط:1، دمشق، بيروت، 1415هـ، ج: 1، ص: 1073.

[3]- عصام البشير، الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، الدورة العشرون لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة التعاون الإسلامي، دط، دب، دت، ص3.

[4]- فيصل بن عبده قائد الحاشدي، فن الحوار أصوله وآدابه- صفات المحاور، دار الإيمان، دط، الإسكندرية، الإيداع: 2003، ص21.

ذلك ولا يتحقق إلا بالتحاور الهادف، والتفاوض الهادئ، لأن التفاوض يمثل مرحلة من مراحل حل القضية محل النزاع إذ يستخدم في أكثر من مرحلة وغالبا ما يكون تتويجا كاملا لهذه المراحل، فالتفاوض كأداة للحوار يكون أشد تأثيرا من الوسائل الأخرى لحل المشكلات مثل العمل العسكري الذي لا يمثل نهاية للمطاف في أمور كثيرة، وبالتالي فهو أي التفاوض يعد سبيلا جيدا نحو الاستقرار، وإن كان يجب التحفظ قليلا للتأكد من صدق النوايا والتأكد من القدرات والقوى التوازنية التي تملكها الأطراف المتفاوضة[5]؛ ولا أدل على مشروعية الحوار مع كل الأجناس والألوان من فعل ربنا تبارك وتعالى وحواره مع بعض مخلوقاته ومن بين تلك النماذج ما وجهه سبحانه إلى ملائكته الكرام من خطاب وما قالوه هم في إجابتهم على سؤاله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة: 30 – 33، أي واذكر أيها العاقل لتعتبر وتتعظ وقت أن قال الله تعالى لملائكته بكيفية لا يعلمها إلا هو، إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم وذريته، لكي يُعمِّروا هذه الأرض، وينشروا فيها ما ينفعهم، وخطاب الله لملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، ليس المقصود به المشاورة، وإنما خاطبهم بذلك من أجل ما ترتب عليه من سؤالهم عن وجه الحكمة من هذه الخلافة، وما أُجيبوا به بعد ذلك، أو من أجل تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقاتهم وعقلائهم، وإن كان هو سبحانه بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة[6]. ومن النماذج حواره عز وجل مع إبليس، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ

[1]- ينظر: محمد فتحي، الطريق إلى نعم- التفاوض مهارات ومفاهيم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، مصر، 1425هـ- 2004م، ص9.

[2]- ينظر: محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر، دط، القاهرة، 1997، ص126.

مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾الأعراف: 11 – 18، على أن من أهم الغايات في كل هذه النماذج من الحوارات، هو تربية وتعليم الله تعالى لعباده ودعوتهم للتفكر من أجل الاعتبار والاتعاظ وليس مجرد الحوار فحسب، ولأن الله تعالى بر لطيف بعباده فقد أنزل آيات بينات كثيرة يأمرنا فيها بالتواصل الفعال والتعاون لحل مشاكلنا وفض نزاعاتنا فتارة تتنزل بلفظ الجدال وتارة بلفظ الحوار وتارة بلفظ الشورى، كما أنزل عز سلطانه سورة كاملة هي سورة الشورى، فهل يبقى بعد هذا الهدي والنور المبين سبيل آخر غير الحوار يصلح لأن يكون أسلوبا للتواصل والتوافق؟! إن الفلاح كل الفلاح في اتِّباع هدي القرآن، فحريٌّ بالإنسان الضعيف أن يتخذ الحوار الإقناعي الهادف أسلوبا مادام مأمورا به من ربه جل شأنه الذي له المثل الأعلى في كل الأمور، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾آل عمران: 159، "لتسفر عن الرأي الصحيح فيه أو أمر بالمشاورة تأليفا لقلوبهم أو أمره بها لما علم فيها من الفضل أو أمر بها ليقتدي به المؤمنون وكان غنيا عن المشاورة"[7]؛ وإنَّ من أوهى الأقاويل وأوهن المزاعم والفِرى في حق القرآن الكريم تلك الدعايات المغرضة القائلة بأن القرآن نزل بالقسر والإكراه، زعم ذلك اليهود من قبل فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنه نزل بواسطة جبريل وهو يأمر بالحرب، ولولا ذلك لآمنا نفاقا منهم وافتراء، ويدعي ذلك اليوم وفي كل عهود الإسلام أعداؤه ومناوؤوه خداعا وزورا وبهتانا، ولقد شهد مع المؤمنين الكفار بأن القرآن دين سماحة ويسر ولين والحق ما نطقت به الأعادي وشهدت، وشهادة الله أكبر وأجلُّ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ ﴾الأنعام: 19. إن الحاجة اليوم ماسة إلى مد جسور التواصل والحوار بطريقة الإقناع والجدال بالتي هي أحسنُ كما أمر ربنا سبحانه وتعالى، فقد دبَّت فينا الخلافات وكثرت الانقسامات، وما ذاك عن قلة منا ونقص

[1]– أبو محمد عز الدين عبد السلام، تفسير القرآن، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1416هـ– 1996م، ج: 1، ص290.

في العدد إنما لأننا غثاء كغثاء السيل، كما وصفنا صلى الله عليه وسلم، ولو تواضع الحاكم لرعيته فحاورهم وشاورهم لما نبتت ونمت جذور الخلاف، وإن كان ذلك مقدرا علينا أزلا، أن يحصل بيننا شيء من الاختلاف والانقسام لكننا مأمورون جميعنا بالعمل على التخفيف من حدته ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، فقال عز من قائل: ﴿**قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾الأنعام: 65، من السماء كالحجارة والصيحة، ﴿**أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** ﴾ الأنعام: 65، كالخسف ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا** ﴾ الأنعام: 65، فرقا مختلفة الأهواء، ﴿**وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ الأنعام: 6، بالقتال، قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت: « **هذا أهون وأيسر**»، ولما نزل ما قبله: « **أعوذ بوجهك**»، رواه البخاري، وروى مسلم حديث: « **سألت ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها**»، وفي حديث آخر: لما نزلت قال: «**أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد**»"[8]؛ ولو اعتمد الزوجان فن الحوار وأسلوب الإقناع لما حصل الطلاق، لكن منطق التريث والهدوء يغيب كثيرا عند الغضب فلا يتمالك الخصم نفسه في صرع أخيه والفتك والبطش به، وينسى قوله صلى الله عليه وسلم: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[9]

[1]- جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، 1425هـ- 2004م، ص135.

[2]- أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في الجامع الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، (كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث6114)، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دب، 1422هـ، ج: 8، ص28، وأخرجه الإمام مسلم بن الحجاج، في صحيحه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، في (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ورقمُه: 2609)، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، دت، ج: 4، ص2014.

المطلب الأول: مفهوم الحِوار

الفرع الأول: الحِوار لغة

جاء في لسان العرب قول ابن منظور: "المحاورةُ: المجاوَبةُ، والتَّحاورُ: التَّجاوبُ؛ وتقول كلَّمْتُه فما أحار إلي جَوابا وما رجع إلي حَويرا ولا حَويرةً ولا مَحُورةً ولا حِوارا أي ما ردَّ جَوابا، واستحاره: أي استنطقه...وهم يَتحاورون أي يَتراجعون الكَلام، والمحاوَرة مراجَعة المنطقِ في الكلام والمخاطَبة"[1]. وقريبٌ من هذا قول الإمام الزبيدي: "المحاورة المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم وهم يتراوحون ويتحاورون"[2]؛ وجاء عن صاحب القاموس المحيط قوله: "وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم"[3]. كما قال جل وعلا: "﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ الانشقاق: 14؛ أي أن هذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظن في الدنيا، أن لن يرجع إلينا، ولن يبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم، لأنه لم يكن يرجوا ثوابا ولم يكن يخشى عقابا، يقال منه: حار فلان عن هذا الأمر إذا رجع عنه"[4].

الفرع الثاني: الحِوار اصطلاحا

عرَّف الحوارَ موشلر بأنه "نوع من التفاعل اللفظي، يلزم فيه المتخاطبون بأن يجادلوا، وأن يُسجلوا نقاطا على بعضهم البعض وأن يفاوِضوا للوصول أو عدم الوصول إلى حلول[5]"، قال الأستاذ حمزة أبو فارس: " الحوار هو عبارة عن تبادل كلام في قضية ما، ويكون تارة بكلام خفيف، فيتكلم أحد الفريقين ويدلي بحجته، وينصت الآخر، ثم العكس، وتارة يكون الحوار بشدة، وهذا في الغالب

---

[1]- أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، ط8، بيروت، لبنان، 2008، ج: 4، بتصرف، ص264.

[2]- أبو الفيض (الزبيدي) ، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، د ت، ج: 11، ص108.

[3]- الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت، لبنان، 1426هـ- 2005م، ص381.

[4]-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م، ج: 24، ص316.

[5]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظَرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 1434هـ- 2013م، ص109.

لا يؤدي إلى نتيجة"[1]، ومن الباحثين من ماثل وساوى بين الحوار والجدل في المفهوم فقال: "ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"[2]، ومن الباحثين من عرفه بقوله: "هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجاذب أطراف الحديث بين شخصين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة ومفاهيم متقاربة وتشخيص موحد، إن أمكن للأشياء كلها، وللمشكلات كافة"[3].

ومن خلال التعريفين السابقين –اللغوي والاصطلاحي – يمكننا القول بأن كلا التعريفين ينطلقان من المراجعة والمداولة للشيء–الكلام– فجاء التعريف اللغوي داعما ومعضدا للتعريف الاصطلاحي، وإلى هذا ذهب أكثر الدارسين، وقد جاء في حديث أمِّنا عائشة رضي الله عنها ما دل على أن المحاورة هي المراجعة فقالت: "لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلاّ أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام في مقامه أبدا"[4]...

المطلب الثاني: مفهوم الإقناع

الفرع الأول: الإقناع لغة قال الإمام ابن منظور رحمه الله: "قنع بنفسه قنعا وقناعة: رضي ورجل قانع من قوم قنع...، يقال: فلان شاهد مَقنَع أي رضا يقنع به، بفتح الميم، مصدر ميميٌّ"[5]. وجاء

---

[1]– حمزة أبو فارس، الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، الدورة الحادية والعشرون لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة التعاون الإسلامي، دب، دط، 1435هـ–2013م، ص6.

[2]– صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، جدة، مكة، 1425هـ–1494م، ص6.

[3]– محمد جبر الألفي، تعريف الحوار، أخذناه يوم الأحد 10–03–2018هـ، على الساعة: 10:26، من موقع الألوكة الإجتماعية: على الشبكة العنكبوتية: http://www.alukah.net/social.

[4]– أخرجه الإمام البخاري في الصحيح، (كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم الحديث: 4445)، ج: 6، ص12، وأخرج الإمام مسلم نحوه في صحيحه، (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر وغيرهما من يصلي بالناس، وأن من صلى خلف إمام جالس لعجزه عن القيام لزمه القيام إذا قدر عليه ونسخ القعود خلف القاعد في حق من قدر على القيام، رقم الحديث: 93)، ج: 1، ص313.

[5]– أبو الفضل محمد ابن مكرم (ابن منظور)، بتصرف، مرجع سابق، ج: 12 ص201.

في كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: "قنع بما أعطاه الله تعالى قناعة: أي رضي، فهو قنع"[1]. وقال ابن فارس في مقاييسه: "قنع: القاف والنون والعين أصلان صحيحان: أحدهما يدل على الإقبال على الشيئ، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس، والآخر يدل على استدارة في الشيئ، فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيئ، يقال: أقنع له يقنع إقناعا، ويقولون: قنع قناعة إذا رضي، وسميت قناعة لأنه يُقبِل على الشيئ الذي يكون له راضيا"[2].

الفرع الثاني: الإقناع اصطلاحا

غير بعيد عن المعنى اللغوي نجد أن الإقناع في الاصطلاح على حد اعتبار أرسطو هو: "ما يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة[3]"، أو هو: "عبارة عن فعل مؤثر في الرأي أو وجهة النظر، إذ يتم عن طريق المناقشات أو التفسيرات[4]"، وعرَّفه الإمام محمد البلخيّ بقوله : "معنى الإقناع هو أن يعقل نفسُ السامعِ الشيئَ بقولٍ يصدق به وإن لم يكن ببرهان"[5]. ويُعرَّف الإقناع بأنه: "تأثير سليم ومقبول على القناعات لتغييرها كليا أو جزئيا من خلال عرض الحقائق بأدلة مقبولة وواضحة"[6]، "أو هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله و اعتقاده"[7].

---

[1]- نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح:حسين بن عبد الله العمري، وآخرَين، دار الفكر المعاصر، ط1، (بيروت- لبنان)، دار الفكر(دمشق-سورية)، 1420هـ- 1999م، ج: 8، ص5650.

[2]- أبو الحسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، دب، 1399هـ- 1979، ج: 5، ص33.

[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 1434هـ- 2013م، ص55.

[4]- خلود بنت محمد السلطان، فاعلية الأساليب الإقناعية في بناء الرسالة الصحية التوعوية، مذكرة ماجستير، إشراف: أ. د، عبد الله بن صالح الحقيل، كلية الدعوة والإعلام، المملكة العربية السعودية، 1431هـ- 2010م، ص10.

[5]- محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 2، دت، دب، ص177.

[6]- عدنان محمود محمد الكحلوت، وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني، دد، دط، غزة، دت، ص2.

[7]- حازم بن محمد ابن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دد، دط، دب، دت، ص4.

وكتقريب بين التعريفين نقول: بأن معنيي الإقناع اللغوي والاصطلاحي يجتمعان في التصديق والقبول والرضا والموافقة فكل هذه المعاني موجودة في هذين التعريفين، وهو ما يُفيد بأن إقناع الآخر لا يَتمُّ بالإكراه والقهر والإرغام.

المطلب الثالث: المصطلحات ذات الصلة بالحِوار

كثيرة هي المصطلحات القريبة من الحوار ومتنوعة وقد اقتصر أكثر الباحثين في حديثهم عنها في بحوثهم على أقربها إلى مواضيعهم وعلى ما يخدمهم فيها، فكان ممَّا أوْرَدوا منها: الجدلُ والمراءُ والحِجاجُ والمناظرةُ و المناقشةُ والمفاوضةُ، على اختلافٍ بينَهم وتفاوتٍ في طبيعة وعدد ما أوردوه منها، في حين أننا نجد بعض الاتجاهات اللغوية تعتبر كثيرا من ألوان التخاطب منضويةً تحت الحوار نفسه، لذلك يقول طه عبد الرحمان: " من الأصول الخاصة التي تُسلِّم بها هذه الاتجاهات: أن الحِوار أصناف مختلفة فمنه المجادَلة والمناقَشة والمناظَرة والمباحَثة والمفاوَضة والمخابَرة (بمعنى البحث عن الخبر)[1]، وفي بحثنا هذا سوف نتناول منها بالدراسةِ الجدلَ والحِجَاجَ والمناظَرةَ، لأنها في نظرنا أَدَلُّ ممَّا عدَاها من المصطلحات، وأجمعُ لمعاني التخاطب.

الفرع الأول: مفهوم الجدَل

"لقد أورد الله تعالى لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعا فأمَّا الجدلُ فهو مذموم في كل موضع ذُكِر إلَّا في ثلاثة مواضع: أحدها في النحل: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ النحل: 125، والموضع الثاني: في العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ العنكبوت: 46، والموضع الثالث في المجادلة: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾المجادلة: "[2]، وثمة من العلماء مَن فرَّق في المعنى بين تصريفات كلمة الجدل، كالشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ فقال: "الأظهر أن الجدل نوع من الخصومة ، لكن لم يمدح في القرآن فقد ذَمه الله عز وجل في قوله

[1] – طه عبد الرحمان، التواصل والحِجَاج، مطبعة المعارف الجديدة، دط، أكادير، الرباط، دت، ص21.

[2] – ابن الحنبلي، استخراج الجدل من القرآن الكريم، المصدر، دط، دب، دت، ص2.

سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الزخرف: 58، يعني في ذلك ذم لهذا الإيراد، لأنهم ما أرادوا المجادلة ولا أرادوا دفعا للشبهة أو الوصول إلى الحق وإنما هو جدل[1]، ومنهم من لم يفرق بل رأى أنهما بالمعنى الواحد، وأحدهما يغني عن الآخَر.

1- الجدَل: لغة

قال الإمام الرازي: "الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتدادِ الخصومةِ ومراجعةِ الكلام"[2]، وجاء عن الإمام أبي نصر الجوهري في صحاحهِ قولُه: "وجادله أي خاصمه، مجادلة وجدالا: والاسم الجدل، وهو شدة الخصومة"[3]، وقال الإمام الفراهيدي رحمه الله: "ورجل جدِل مِجْدال أي خصِم مِخْصام، والفعل جادل يجادل مجادلة، وجدَلتُه جدْلا، فانجدَل صريعا، وأكثر ما يقال: جدَّلته تجديلا أي صرعته"[4]، وجاء عن أبي العباس الفيومي: "جدل الرجل جدلا فهو جدل من باب تعب إذا اشتدت خصومته وجادل مجادلة وجدالا إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب"[5].

2- الجدَل: اصطلاحا

تدور معاني الجدل عموما حول الشدة والغلبة: وهو ما نجده في قول الأستاذ مناع القطان رحمه الله: "الجدلُ والجدالُ: المفاوضةُ على سبيلِ المنازعةِ والمغالبةِ لإلزامِ الخصمِ"[6]. ومِن العلماء مَن

[1]- ينظر: خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، شرح العقيدة الطحاوية، دد، دط، دب، دت، ص336.

[2]- أبو الحسن أحمد بن فارس، المرجع السابق، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، دب ، دت، ج: 1، ص433.

[3]- أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1407هـ- 1987م، ص1653.

[4]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دط، ج: 6، دب، دت، ص79.

[5]- أبو العباس أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، دط، بيروت، دت، ج: 1، ص93.

[6]- مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط3، دب، 1421هـ- 2000م، ص310.

عرفه بأنه: "تردد الكلام بين اثنين، إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه"[1].

وقال الشيخ بن عثيمين هو: "منازعة الخصم للتغلب عليه"[2].

وللجمع بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي للجدل نقول: بأن هذين التعريفين يلتقيان في رابط واحد هو الشدة والقوة، والتعريف اللغوي يشمل معاني التعريف الاصطلاحي ويزيد عليها، وهو الأمر الذي يُثبت ويَكشف ما في الجدل من شدَّةٍ ملازِمة له، وأنه بعد الحوار من حيث فائدته الإقناعية.

الفرع الثاني: مفهوم الحجاج

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى لفظة الحجة وما تصرف منها في كتابه العزيز في سبع وعشرين موضعا ولفظة السلطان أيضا في ثلاثة وثلاثين موضعا، الجميع، المراد، به الحجة سوى موضع واحد في الحاقة، وهو قوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ الحاقة: 29، وقيل المراد به الحجة[3].

1-الحجاج: لغة

لقد تكررت كلمة الحجاج في القرآن الكريم بصيغها المختلفة أكثر من عشرين مرة على تنوع في معانيها من المغالبة إلى الجدل والمنازعة، وقد جاء في المعجم الوسيط أن: " حاجه محاجة وحجاجا أي: جادله وفي التنزيل العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ البقرة: 258؛ و(احتج) عليه أقام الحجة وعارضه مستنكرا فعله، و(وتَحاجُّوا): تَجادلوا"[4]، وقال الليث: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمعها حجج، قلتُ: وإنما سمِّيت حُجَّةً لأنه تُحَجُّ أي: تُقصدُ،

[1]- القاضي أبو يعلى محمد، العدة في أصول الفقه، تح: أحمد بن علي بن سير المباركي، دد، ط2، دب، 1410هـ- 1990م، ص184.

[2]- محمد بن صالح العثيمين، تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تح: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط3، دب، 1415هـ- 1995م ، ص160.

[3]- ينظر: ابن الحنبلي، استخراج الجدل من القرآن الكريم، ص2.

[4]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، دط، دب، دت، ج: 1، ص 156.

لأن القصد لها وإليها، وكذلك محَجَّة الطريقِ هي المقصِدُ والمسلَكُ[1]؛ والتَّحاجُّ على قول ابن منظور هو: التَّخاصم، وجمعُ الحُجَّةِ: حُجج وحِجاج، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجَاجًا نازَعَه؛ وفي الحديث النبويِّ الشريفِ: «**فحجَّ آدمُ موسى**»[2]. "أي غلبه بالحُجَّةِ، واحتَجَّ بالشيء اتَّخَذه حُجَّة"[3].

2-الحِجَاج: اصطلاحا

قال الإمام عبد الرؤوف المناوي: "الْمُحاجَّةُ تثبيتُ القصدِ والرأيِ لما يصحِّحُه"[4]، وقال كذلك: "الحجة بالضم الدلالة المبينة للحجة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي أحد النقيضين، ومنه قوله سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام: 149؛ والمحجة بفتح الميم جادَّةُ الطريقِ، وقيل: الحُجَّة كلامٌ يَنشأ عن مُقدَّمات يقينية مركَّبة تركيبا صحيحا[5]، وعرَّفه أبو بكر العزاويُّ بأنه: "تقديم الحُجج والأدلة المؤدِّية إلى نتيجةٍ معينةٍ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيَّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحِجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[6]، ومعنى الحجاج الفني عند صابر الحباشة أنه: "صنف مخصوص من العلاقات المودَعة في الخطاب والمدرَجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية"[7].

---

[1]- محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001م، ج: 3، ص251.

[2]- أخرجه البيهقي أحمد بن الحسين في كتاب الأسماء والصفات، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، (كتاب الجزء الأول: الأسماء والصفات، باب قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ الشورى: 51، رقم الحديث: 421،) مكتبة السوادي، ط1، دب، دت، ج: 1، ص493.

[3]- أبو الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ج: 4، ص 38.

[4]- زين الدين محمد (عبد الرؤوف المناوي)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م، ص298.

[5]- زين الدين محمد (عبد الرؤوف المناوي)، المرجع نفسه، ص136.

[6]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، الدار البيضاء، منتديات سور الأزبكية: 1426هـ- 2006م، ص16.

[7]- صابر الحباشة، الحجاج في التداولية، مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات، مجلة علمية محكَّمة، كلية الآداب، البحرين، 2011م، ص203.

وما يُؤخذ من هذين التعريفين: "اللغوي والاصطلاحي" هو أنهما اتَّفقا في بعض المعاني ومن أهمها التوجه والقصد إلى الشيء وإرادتُه وطلب حصوله.

الفرع الثالث: مفهوم المناظَرة

1-المناظَرة: لغة

يقول صاحب المصباح المنير أبو العباس الفيومي رحمه الله: "ترجع كلمة المناظرة إلى أصل ثلاثي هو النون والظاء والراء، وتدل على تأمل الشيء ومعاينته ثم تتسع دائرة معانيها لتشمل الانتظار والمعاينة والتحاور أيضا، والنظِرة مثل كلِمة بالكسر اسم منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة: 280، أي فتأخير، ونظرت الشيء، وانتظرته بمعنىً، وفي التنزي: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴿٤٩﴾﴾ يس: 49، أي ما ينتظرون...، وناظره مناظرة بمعنى جادله مجادلة[1]؛ وغيرُ بَعيد عن هذا ما جاء في المعجم الوسيط من أن: معنى ناظر فلَانًا : صَار نظيرا لَهُ وباحَثه وباراه فِي الْمُحاجَّة وَالشَّيْءَ بالشَّيء جعله نظيرا لَهُ وَيُقَالُ دَارِي تُناظر دَاره تُقَابلهَا، وتَناظر الْقَوْمُ نظر بَعضُهم إِلَى بعض وَفِي الْأَمر تَجادلوا وتَراوضوا وَيُقَال: دُورُهمْ تتناظر تتقابل والمناظرُ المجادِلُ الْمُحاجُّ[2]، وقال الإمام الزمخشريُّ: " من المجاز: نظرتِ الأرضُ بعين وبعينين إذا ظهر نباتها، ونظر الدهر إليهم: أهلَكهم"[3].

2- المناظَرة: اصطلاحا

هي عند العلامة محمد الأمين الشنقيطي بمعنى: "المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر، الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب"[4].

---

[1]- أبو العباس أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج: 2، ص612.

[2]- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج: 2، ص932.

[3]- أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1430هـ- 2009 م، ص641.

[4]-ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم بجدة، دط، دت، ص3.

ويلتقي التعريفان اللغوي والاصطلاحي للمناظرة في: معاني الانتظار أي التمهل، وفي النظر فأما الانتظار فهو أمر واجب في التواصل بين المتخاطبين من جهة أن كل طرف من أطراف التخاطب لا يتسنى له معرفة وجهة نظر مخاطَبه إلا بالامتناعِ عن الكلام إذا تحدث ذاك الذي يناظره وبالإصغاءِ إليه إذا تكلم حتى ينتهي، وأما النظر الذي هو رؤية البصر فلأن أدبَ أكثرِ ضروبِ التواصلِ يقتضيه، وأما النظر الذي هو رؤية البصيرة فلأجل أن كل كلام الأصل فيه أن يكون واعيا منظَّما هادفا، وهذه المعاني في المناظرة أوْكَد.

المطلب الرابع: العلاقة بين الحوار والجدال والمحاجة والمناظرة

لقد حدد العلماء جملة من الفروق بين الحوار وما اتصل به وقاربه في المعنى من مصطلحات، لئلا يلتبس الأمر على المتخاطبين والباحثين، وإن كان كثير من العلماء والمفسرين والدارسين قديما كالإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله لا يفرِّقون بين بعض هذه المصطلحات في الاستعمال، فتراهم يستعملون بدلا من الحوار الجدال أحيانا، وبدلا من الجدال الحجاج أحيانا أخرى، أو يعبرون بهما معا عن المعنى الواحد، ولم يقتصر الأمر على هذه المصطلحات فحسب بل تعداها إلى غيرها أيضا وهو كثير، الأمر الذي يجعل الباحث في حيرة ولُبس.

الفرع الأول: الفرق بين الحوار والجدال

الجدل في عمومه مظنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق أو بالباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر، في حين نجد أن الحوار عنوان من عناوين التقارب وقناة من قنوات التواصل المجتمعي وركيزة من ركائز بناء الثقة وتقريب وجهات النظر[1]. كما قد ينصرف الذهن عند توظيف كلمة الجدل إلى مفهومين متناقضين وهما: الأول: الجدل المحمود، وهو الأسلوب الذي نزل به القرآن بالطبع وأَمرَنا به وذلك في قوله تعالى مثلا: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: 125، والثاني هو: الجدل المذموم، وتنزه القرآن عن النزول به، إلا ما كان فيه من

[1]– يُنظر: سعد عبد الله عاشور، ضوابط الحوار مع الآخر، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد: 16، العدد: 1، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، يناير – 2008م، ص84.

بيان أسلوب البشر، كالكافرين مثلا، وقد ذمه الله تعالى وحذرنا منه ومثاله قوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ غافر: 5، أما عند استعمال لفظة الحوار فإنها عادة ما تحتمل صفة واحدة وهي الكلام اللين في مخاطبة الغير، كقوله تعالى:﴿قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ الكهف: 37، كما أنها قد تستلزم في أغلب الأحيان المجادلة بالتي هي أحسن وفق المدلول القرآني[1]. ولقد عدهما العلماء المتقدمون " أي الحوار والجدال" أمرا واحدا، فكانوا يسمون الحوار جدالا، ويستدلون على ذلك بقوله جل وعلا: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ المجادلة: 1، فسمى ذلك الجدال والمجادلة حوارا، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ البقرة: 111، وهذا فيه نوع مجادلة ومحاورة[2]، وتشترك المجادلة مع الحوار في كونها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين إلا أنها تأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة لذا تسمى شدة الفتْل في اللغة الجدل، والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يأمر بالجدل ولم يمدحه على الإطلاق إنما قيده بالحسنى، وقد بين رسول الله ﷺ أنه ما من قوم يضلون بعد هدى إلاَّ عاقبهم الله تعالى بأن يؤتيهم الجدل كحال اليهود مع أنبيائهم[3].

الفرع الثاني: الفرق بين الحوار والحجاج

قريبا من شأن الحوار وأمره في الفرق بينه وبين الجدل، أمْرُ الحوار في الفرق بينه وبين الحجاج، ذلك لأن الحجاج والجدال متقاربان في العلاقة بينهما، فمن أجل ذلك نقول هنا أيضا- في التفريق بين الحوار والحجاج: أن كثيرا من العلماء فسروا المحاجة بالجدل، مثل ابن الجوزي والطبري، وابن كثير وغيرهم، فقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ البقرة: 258، "حاجَّ، أي جادل وخاصم،

[1]- يُنظر: عبد الله بكلي، منهج القرآن في حوار الأديان الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: أ.د محمد بن موسى بابا عمي،كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر01، بن يوسف بن خدة، دت، ص23.

[2]- سعد بن ناصر الشتري، أدب الحوار، دار كنوز إشبيليا، ط1، الرياض، السعودية، 1427هـ- 2006م، ص9.

[3]- ينظر: خالد بن عبد الله القاسمي، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، دار المسلم، ط1، الرياض، بتصرف، ص104.

والمحاجة: المخاصمة والمغالبة بالقول، يقال: حاججته فحججته أي خاصمته بالقول فتغلبت عليه، وتستعمل المحاجة كثيرا في المخاطبة بالباطل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ آل عمران: 20، وقوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ الأنعام: 80"[1]، فما قيل عن الحوار في التفريق بينه وبين الجدال يقال عنه في التفريق بينه وبين الحجاج، للشبه الحاصل بين الجدال والحجاج، فكلمة "حاج" التي مضت –مثلا- وإن كانت تدل على المشاركة في فعل المحاجة فإنها مقيدة كالجدال إذا كانت من جهة الله تعالى وأنبيائه وعباده المؤمنين بضابط هو: "التي هي أحسن" فليست كل ضروب التخاطب تحمل صفة واحدة تسري معها في أي خطاب، وهي المدح مطلقا، بل إنها تختلف باختلاف مصادر الخطاب وَجِهاته فلا يمكن أن يُسوِّي عاقلٌ بين حجة الله البالغة وأيِّ حجة باطلة، وهو ما قيل آنفا عن الجدال، ويلتقي الحوار مع الحجاج في عنصر التفاعل والاشتراك في العملية التواصلية بين المرسل والمرسَل إليه، ولا يُستثنى من العنصر الثاني وهو المرسَل إليه أو المتلقي القارئُ، فهو قطب هام في التخاطب كما بين ذلك أعلام اللسانيات كجاكوبسون صاحب مخطط العملية – التحاورية – التواصلية، "وبما أن المحاورة تحمل معنى التفاعل بين الطرفين، فالأول يطرح سؤالا أو يبدي رأيا فيردُّ عليه الثاني فيناقشه، وينشأ الحوار ويتسع، وهنا يلتقي معنى الحجاج بمعنى التحاور أو الحوار، فالمحاجِج حين يطرح حجته ينتظر من الطرف الآخر أن يحاوره ويسأله ويجيبه ويناقشه، والمتلقي أو الطرف الثاني في العملية الحوارية لديه الحق في الرفض والاعتراض[2].

[1]– محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، ط1، القاهرة، ج: 1، فبراير– 1997، ص592.

[2]– حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، دط، إشراف: أ.د. عز الدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434هـ– 2013م، ص26.

الفرع الثالث: الفرق بين الحوار والمناظرة

قيل في المناظرة أنها: "أدل في النظر والتفكر من الحوار، وهو- أي الحوار- أدل منها في مراجعة الكلام وتداوله، وأن كل مناظرة هي حوار وليس العكس"[1]، ومثلُ هذا القول قول من ذهب إلى أن الحوار أعم من المناظرة، وزاد عليه فبين أنه لا فرق بين المناظرة والجدال المحمود.

ومما سبق تتبين علاقة الحوار بالمناظرة والجدل والحجاج، إذ كلها تشترك معه في أنها مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين، وتجاذب لأطرافه وأخذ ورد، فهي تدخل مع الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر، والجدال والمجاجة في دلالتهما على المخاصمة والمنازعة[2].

وهذه الثلاثةُ أنواع من التواصل متضمَّنة ومحتواة كلها في الحوار من جهة كونها جميعا قائمة على مراجَعة الكلام مثله، ومداولتِه بين أطراف الخطاب، ثم يختص كل واحد من هذه الأنواع بميزة معينة. وعلى حد اعتبار العديد من الباحثين ومن بينهم ظافر الشهري فإن أنواع الخطاب جميعَها تشترك في جملة من العناصر الأساسية للعملية التواصلية، ولا يخلوا أي خطاب منها، ومن بينها: المرسِل فهو طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه، والطرَف الثاني: هو المرسَل إليه، وهو طرف الخطاب الثاني المقصود بالخطاب، وتتكون من السياق وهو الإطار العام الذي يُسهم في ترجيح أدوات بعينها، واختيار آليات مناسبة لعملية الفهم والإفهام، ومما يدخل فيه عنصرا الزمان والمكان، والطرف الثالث هو الخطاب وهو ثمرة هذه العناصر مجتمعة ومن عناصر العملية التواصلية أيضا القناة، وهي الأداة التي يمر عبرها الخطاب، ونجاح الخطاب متعلق بسلامة هذه العناصر عموما[3]، وهذه متابعة وموافقة من الأستاذ الشهري لبعض اللغويين كالعالِم اللساني رومان جاكوبسون الذي حدَّد مكونات العملية التواصلية عموما وحصرها في ستّة عناصر هي: المرسِلُ، والمرسَلُ إليه، والمرجعُ: وهو المحتوى الذي تشير إليه، والقناةُ:

---

[1]- أبو معاذ موسى بن يحي الفيفي، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟، دار الخضيري، دط، المدينة النبوية، 1427هـ، ص69.

[2]- يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، ط1، مكة المكرمة، 1414هـ- 1994م، ص31.

[3]-يُنظر: ظافر بن الهادي الشهري، اسيراتيجيات الخطاب، ص5.

وهي ما يسمح بنقل الرسالة من المرسِل إلى المرسَل إليه، والسُّننُ: وهي مجموع العلامة التي تَتشكَّل منها الرسالة، وكذلك نظام تأليفها التركيبيُّ، وشرطها أن تكون مشترَكة ليفهمها طرفا الرسالة، والعنصر الأخير هو الرسالةُ[1]، وهي ما ينقله أحد أطراف العملية التواصلية، أي التحاورية إلى الطرف الآخر، وتكون البادرة لحصول التحاور والتواصل بين المتخاطبَين.

[1]- ينظر: ظافر بن الهادي الشهريّ، المرجع نفسه، ص12.

المطلب الأول: آداب الحوار

إنه لابد على المحاور من أن يلتزم بجملة من الآداب والأخلاق أثناء تواصله مع غيره بغية إنجاح عملية التحاور وتحقيق الإقناع، ولقد عَدَّ أخلاقياتِ الحوارِ فلاسفةُ اليونانِ من قبلُ أفلاطونُ وأرسطو وغيرُهما عناصرَ ضروريةً في العمل الخطبي فاشترطوا لنجاح خطبهم أن تتخذ من "آداب التبليغ" عموما وأخَصُّه وأَهمُّه عندهم الخطابة- الأرغانون- منطلقا أساسا لإقناع الجماهير لأن تلك الآداب عوامل تمنح الخِطاب قوَّتَه ومصداقيته، لذلك اشترط أرسطو في القائلِ الفطنةَ والفضيلة والتلطف للسامعين لأجل إحداث أثر نفسي مقبول لديهم إذ لا بد في الإقناع من التهيئة الانفعالية والاجتماعية للسامعين من أجل استدراجهم وتحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب، فالقول لا أهمية له إذا لم يكن رهانُه الاهتمام بالسامع لأجل إقناعه[1]، ولقد أَوْضح الدارس اللغوي طه عبد الرحمان أنه فات على علماء اللغة الغربيين أن آداب الحوار هي أمور عملية تطبيقية وثوابتُ ومقوِّماتٌ متأصلة قبل أن تكون مجرَّد قواعدَ وأحكامٍ لغوية، وأنَّ آداب الحوار تابعة لتلك الثوابت لا لعناصر اللغة من أفعال وغيرها، أو "ما يجب أن يكون" وهي التي وسمها بشرائط الأفعال فقال: " لكن الذي فات أغلب هؤلاء المنشغلين بالتنظير للحوار هو أن العلاقة التخاطبية هي علاقة أصلية، بمعنى أنها سابقة على كل العناصر الداخلة في تكوين الممارَسة التواصلية ومؤسِّسة لها جميعا، وأنها علاقة عملية بمعنى أنها لا تنبني على شرائط الفعل فحسب، بل تنبني أيضا على القواعد الأخلاقية، فتكون هذه القواعد الأخلاقية هي الأصل في شرائط الفعل الذي تنطوي عليه[2]. فلنا إذن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في مناقشاته وحواراته البديعة ذلك بأنه استقاها من المعين الصافي، من الوحي الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ فصلت: 42 الحافلِ بنماذجَ رائعةٍ من حواراتِ الأنبياء مع أقوامهم، وغيرها من الحوارات، امتثالا منَّا في ذلك لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب:21، ولقد حَظينا بفوائدَ جمةٍ من كتاب ربنا عزَّ وجلَّ عن أدب الحوار على غرار سورة "المؤمن" -غافر- منها ما دار بين الخالق عز وجل وبين

[1]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص54.

[2]- طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص22.

ملائكته الكرام: ومنها أنه تبارك وتعالى قد فسح المجال أمام الملائكة لأجل غايات كثيرة منها أن يُعبِّروا عن رأيهم بخصوص استخلاف نبيه آدم في الأرض- وهو الغني عن مشورتهم-، وأنه سبحانه قد أرشدهم بأسلوب مهذب حكيم إلى ما يجب عليهم الوقوف عنده، وهكذا يتعلم العقلاء من هذه المحاورة أن الرئيس عليه أن يفسح المجال لمرؤوسيه المخلصين، لكي يناقشوه فيما خفي عليهم من أمور دون أن يستبد بالحكم وحده أو يستأثر برأيه دون إشراكهم، وإذا تجاوزوا حدود الأدب اللائق معه راعى في عتابهم ما فيه صلاحهم جميعا ومن الأدب السامي في الحوار ما حكاه القرآن الكريم من أن الله تعالى يسأل رسله الكرام يوم القيامة-وهو العليم بكل شيء- فيقول لهم: ماذا كان جواب أقوامكم لكم عندما دعوتموهم إلى إخلاص العبادة لي وحدي؟[1]، كقوله عز وجل للمسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا السلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾ المائدة 116، فعلى المتحاور أن يلتزم بآداب الحوار الرفيعة إن كان هدفه هو الوصول إلى التوافق والإقناع، دونما تباغض وتشاحن لئلا يَصدُق عليه حديث رسول الله ﷺ الَّذي بيَّن فيه علامات المنافق فذكر منها صفة الغضب الزائد أثناء التخاطب فقال ﷺ «**وإذا خاصم فجر**»[2].

وقد ذُكِر أنه: "اجتمع متناظران فقال أحدهما للآخر: هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط: أن لا تغضب، ولا تشغب، ولا تعجب، ولا تحكم، وعلى أن لا تجعل الدعوى دليلَك، وأن لا تُجوِّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جَوَّزت لي تأويل مِثلِها على مذهبي، وعلى أن تؤثِر التصادق، وتنقاد للتعارف، وأن يبقى كل منا في مناظرته على أن الحق غايته والرشد بغيته"3.

[1]- ينظر: محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، ص128.

[2]- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم الحديث: 34)، ج: 1، ص16، وأخرج الإمام مسلم نحوه في صحيحه، (كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث58)، ج: 1، ص78.

[3]- شوقي أبو خليل، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، دار الفكر، ط1، دمشق، سورية، 1994هـ، ص7.

ومن هذه الآدابِ –آدابِ الحوارِ الإقناعيِّ– في القرآن الكريم:

الفرع الأول: الآداب النفسية

1– الإخلاص:

"وذلك بأن يخلصَ النيَّة في جداله وحواره، ويكونَ قصْدُه في ذلك التقربُ إلى الله تعالى، وطلبُ مرضاته والدعوة إلى الحق، فلا يقصدَ المباهاةَ وطلبَ الجاهِ والرياءَ، ولا يكونَ قصدُه الظفرُ بالخصم والسرورُ بالغلبة والقهر، فإن ذلك من دأب الأنعام"[1]؛ وعلى مثل هذا يجب أن تنبني علاقة المعلِّم مع طُلاّبه في حواره معهم، فلا يُقيمون وزنا لكل ما يخرج عن نطاق هذه الرسالة النبيلة، فإن تمَّ لهم ذلك تحقق المطلوب، وكان لهم النجاح الحقيقيّ، ومن الإخلاص في الحوار أن لا يُبالي المحاور من أي جهة حصل الإقناع، أمِن جهته هو أم من جهة إنسان آخر غير طرفي أو أطراف الحوار، بل يحرص على تحقيق التفاعل لأجل التوافق والتفاهم، فتفعيل العملية التحاورية والتعاون الجماعي على إيجاد الحل أدعى لحصول التراضي بين المتحاورين فإن للسياق التفاعلي contexte interactionnel أهمية بالغة في الوصول إلى التوافق بين المتحاورين، وهو ما يبين مدى إدراك الموضوع الحواري من طرف المتحاورين، ومدى انسجامهم مع القضايا المطروحة، ويتضمن عناصر مهمة في إجرائه، ومن هاته العناصرِ المعتقداتُ التي يتم تفعيلها أثناء الحوار، والتي تتميز بتنافرها أو تقاربها بين أطراف الحوار، إلا أن طرْحها في النقاش يُفضي إلى بعض التقارب أو المزيد من الاختلاف حسبما يؤول إليه التبادل الحجاجي والقدرة الإقناعية للمتحاورين[2]؛ ويقول الباحث اللغوي طه عبد الرحمان في حديثه عن هذا الموضوع –الإخلاص– كمطلب سام من مطالب أو شروط الحوار: "أما قاعدة الإخلاص، فتقضي بأن يقدم المتكلم حقوق المخاطَب على حقوقه، وليس في هذا التقديم حطٌّ من مكانة المتكلم ولا إضاعةٌ لحقوقه؛ فلا يحط هذا التقديم من قدر المتكلم، لأن هذه الحقوق ثابتة له وليست منتحَلة، كما أنه لا يضيع حقوقه، لأن هذه الحقوق لا تقوم على التنازع ولا التأدبُ

[1]– لم يذكر صاحب المقال، الحوار، مجلة مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، العدد: 11، جدة، دت، ج: 11، ص838.

[2]– ينظر: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، ص10.

المقرونُ بها يقوم عليه، وإنما تنبني هذه الحقوق على التجرد المتبادل عن أسباب التنازع كالأغراض وغيرها، كما تنبني على التأدب المتبادل[1].

2- حسن الإصغاء والاستماع:

"إن من أدب المروءة حسن إصغاء الرجل لمن يحَدِّثه من الإخوان فإنَّ إقباله على محَدِّثه بالإصغاء إليه بالأذن، وطرْف العين، وحضور القلب وإشراقة الوجه يدل على ارتياحه لمجالسته، وأُنسه بحديثه"[2]. فإذا أتاك ابنك ليحدثك عما جرى له في المدرسة، فلا تضرب بما يقول عرض الحائط، ثم تفتح المذياع أو التلفاز ولا تلقي لما يقوله اهتماما، فحديثه إليك في تلك اللحظة-بالنسبة له- أهم من كل ما يشغل بالك من أفكار، فربما يريد أن يخبرك بما يشعر به من أحاسيس أو تنتابه من آلام في المدرسة جرَّاء أمر معين مثلا، بل ربما يريد أن يُعبِّر لك عن سعادته وفرحته بشهادة التقدير التي نالها في ذلك اليوم[3]؛ ومن آداب المتعلِّم في الصفِّ أن يُنصت إذا تكلَّم المعلِّم حتى يفرغ من كلامه، فلا يقاطعه بالحديث، ولا يُعرض عنه بوجهه أو يُبدي له عدم الاهتمام ولو كان حديثه في ذلك الأمر غير ذي فائدة بالنسبة إليه، أو أنه مجرد تَكرار لحديث سابق، فمقام الإنسان الذي يُحاورُه يقتضي ذلك، وعلى المعلِّم بدوره أن لا يُظهر لطلبته أنه يحتقرُ جهدهم ومستواهم ويُقلِّلُ من شأنهم لضعفهم المعرفي ولأنهم دونه مستوى، فواجب الإنسانية، وواجب الأخوة في الدين وما يقتضيه من تمثل للأخلاق يستلزم إشراكهم في الدرس لإثرائه دون مقاطعة أو تهجُّم على إجابتهم أو ذواتهم بالانتقاص ولو قَلَّت الإصابة في إجاباتهم أو حتَّى انعدمت، فذاك الذي يُفعِّل حوارهم ويُباركُه، فلا يدري الذي لا يلتزم بهذا الأدب فقد يحتاج من الغير يوما ولابدَّ إلى أن يعاملوه بالذي يحب لنفسه من أدب المعاملة، وفي هذا يقول طه عبد الرحمان متحدثا عن الازدواج الواجب على المتحاورين دون اعتراض أو كِبْر أو ما أشبه ذلك، لأجل حصول الإقناع وضمان سلامة الرسالة أو العملية التواصلية بين المتحاورين: " وقد تتفرع على مبدإ المعاملة بالمثل القواعدُ الأخلاقية التالية:...لاتحرم غيرك من أن

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان(التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ص252.

[2]- فيصل بن عبده قائد الحاشدي، المرجع سابق، ص130.

[3]-ينظر: حسان شمسي باشا، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان، دار القلم، ط6، دمشق، 1428هـ- 2007، ص29.

يتصرف بإرادته وأن تكون له بواعث على هذا التصرف كما لا تحب أن يحرمك من التصرف بإرادتك وأن تكون لك بواعث على هذا التصرف"[1]. ولنا في ذلك أسوة حسنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم في حواره مع قومه –الصحابة والمشركون- ومع غيرهم، كحواره مع عتبةَ بن الوليد، فقد كان فيه صلى الله عليه وسلم نموذجا أعلى في حسن الاستماع والإنصات، وكذلك أدبُ تلاميذه الكرام وحياؤهم رضي الله عنهم في حوارهم معه صلى الله عليه وسلم، لقد تعدَّى أمرهم رضي الله عنهم من حسن الإنصات ليتعلَّموا إذا تكلم النبي ﷺ، إلى الحياء الشديد وعدم المقدرة على الجواب إذا طُلب منهم، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما لما سأل أباه وأبا بكر رضي الله عنهما رسولُ الله ﷺ عن الشجرة الخضراء، فما عرف الجواب إلا هو لكنه استحيى من الحديث بدلا من الَّذَين هما أكبر منه مقاما رضي الله عنهم جميعا.

3- الكلمة الطيبة:

فهي صدقة كما قال رسول الله ﷺ، "فينبغي على المتحاورين الالتزام بآداب الإسلام، وذلك في انتقاء أطايب الكلام وتجنُّبِ الكلام اللاذع الجارح"[2]، تطييبا للنفوس وإيناسا لها، وقد أَمَرَنا الله تعالى بالتلطف والتأدُّب في الكلام إذا تواصلنا و تحاورنا مع غيرنا فقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: 83، وقال أيضا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾الإسراء: 53، وكذا قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر: 10، قيل: "الكلم الطيب ذِكر الله، وعن قتادة: المعنى: أي يقبل اللهُ الكلمَ الطَّيِّبَ"[3]، فهي بذا عامة تشمل الدين كلَّه، فلا يظُنَّنَ إنسان أن الحوار مستثنى منه الكلم الطيب المؤدَّب وأنه يصلح التلفظ بأي كلم ولو كان غير لبق، يقول طه عبد الرحمان في حديثه عن مبادئ التداولية التي تضبط الحوار وتُهذِّبُه – وقد أشاد بدورها الفعال في إنجاح الحوار ونبه في مواطن أخَر إلى كونها من ركائز الدين الإسلامي الحديث وثوابته من قبل أن تكون مواضيع لسانية يثيرها

[1]- طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص19.

[2]- عقيل بن محمد المقطري، أدب الاختلاف، دار بن حزم، ط1، دب، 1414هـ- 1993، ص49.

[3]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (تفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرَين، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، دب، 1417هـ- ج: 6، ص415.

بعض الغربين في حديثهم عن التواصل اللساني: " أما المبدأ التداولي الرابع فهو مبدأ التأدب الأقصى" الذي يورده "ليتش" في كتابه مبادئ التداوليات والذي يَعده مكملا لمبدإ التعاون، ويصوغ مبدأه في صورتين اثنين: إحداهما سلبية هي: قلِّل من الكلام غير المتأدب، والثانية إيجابية هي: أكثر من الكلام المؤدَّب[1]. وأما تذكيره بكون هاته الآداب مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف فهو كثير ومثاله قوله: "ولا أدلَّ على ذلك من أن علماء المسلمين، كلما اشتغلوا بهذا الجانب، أفضى بهم ذلك إلى الاشتغال بما أسمَوه ب"آفات الكلام" بوصفها من أقبح مساوئ الأخلاق، كما أفضى بهم إلى الاشتغال بأسباب الخروج من هذه الآفات بوصف هذا الخروج سبباً في توريث التحلِّي بمكارم الأخلاق[2]؛ ولقد أَعْلَمنا رسول الله ﷺ أن الكلمة السيئة قد تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفا، والعياذ بالله، وقد ضرب لنا الله مثلا بديعا جميلا للكلمة الطيبة فقال مربي الخلائق ومؤدبهم ومعلمهم جل شأنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ إبراهيم: 24، والله تعالى يقول: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾البقرة: 263، ومن أمثلة الكلام الطيب اللطيف في الحوار القرآني ذلك الخطاب البديع المتأدب الذي وجهه سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أبيه آزر فقال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾مريم، 42-45."لقد ركّز السياق على الخطاب الدعوي لإبراهيم عليه السلام فنلمس اللطف في إبراهيم وهو يتوجه إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه وعلَّمه إياه، وهو يتحبب إليه فيخاطبه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ ويسأله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾، والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى وأن يرفعها إلى مقام الإشارات وأسنى"[3]، لقد كان هذا الحوار بهذا الأدب الرفيع مع

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص246.

[2]- طه عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص253.

[3]- أنور الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات و دار ابن حزم، ط1، القاهرة، 1435هـ- 2013م، ج: 2، ص306.

كافر بالله، فما البال لو كان حوارا موجها إلى مؤمن به، عندها يتوجب التحرز والاحترام أكثر، فهلاَّ تأدبنا بآدابِ وأخلاقياتِ القرآن الكريم آدابِ الحوار وأخلاقياتِه ونبذنا خوارمها ونواقضها؟.

4- الاتِّزان النفسي (الهدوء):

في أثناء الحوار قد تتحرك الطباع الكامنة في نفس الإنسان فيفقد هدوءه وتوازنه، ويغلي الدم في قلبه، ويغضب على خصمه، وقد يرتفع صوته، ويغلب الانفعال على جو الحوار، وتندفع الكلمات تتسابق من الطرفين أو أحدهما كالسيل الجارف، تهكم لاذع وسخرية وتراشق بالتهمِ وأسفِ العبارات، حتى تظن أنهم لا يتحاورون بل يتصارعون..!!، بينما الواجب أن لا يصل الأمر إلى رفع الصوت، لأن رفع الصوت لا يكون إلا في الخطب والمواعظ التي تستلزم ذلك قال تعالى: ﴿**وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ**﴿١٩﴾﴾لقمان: 19، وصاحب الباطل أحيانا يرفع صوته في الحوار، حتى يظهر للناس أنه مُحِقٌّ، أمَّا صاحب الحق فهو متزن، يوصِل كلمته في تمكين واطمئنان لأنه صادق[1].

5-الصفح:

إن من أسمى آداب الحوار وأنبلها العفوَ عند المقدرة، أي أن يتجاوز الإنسان عن أخطاء غيره تجاهه سواء أكانت أخطاؤهم حياله بالكلمة أو بالسلوك لطالما أن انتهاكهم ذلك لا يُوجب حدا أو ما أشبهه، فلو حرص الإنسان على دفع مظالم إخوانه له بالشدة أو الانتقام ما حصل التوافق والاصطلاح ولا كان للحوار معنى لعدم التحلي فيه بآدابه، وقد سمَّى موشلر هذا النوع من المبادلات التحاورية ب"الرأبية" والمقصد منها "ترميم انتهاك الحق بمجال الآخر وتصحيح أيَّة إساءة مجانية مسَّتْه، فمثلا: بعد أن داس الشخص (أ) على قدمَيْ الشخص (ب)، يقول (أ): أستسمحُ، فيجيب (ب): لا داعي لذلك، لم تقصد، فإن فعل الاعتذار مكَّن الشخص(أ) من ترميم إهانة مجَّانية سببها سوء تصرُّفه، ومن ثم فإن هذا الفعل الترميمي يضطلع بوظيفة إقرار التوازن التفاعلي بين المشاركِين في المبادَلة ويُمكِّنهما من المواصلة"[2]، والتتابع في الحوار دون أيِّ معوِّقٍ في الرسالة أو تشويش.

[1]- ينظر: عائض القرني، الخلاف أسبابه وآدابه، دد، دط، دب، دت، ص44.

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظَرة، ص 111.

الفرع الثاني: الآداب العلمية

1- مناقشة المسائل حسب أهميتها:

"فليس من آداب الحوار تضخيم المسائل الفرعية على حساب المسائل الأصلية، فإن كثيراً من المسائل الفرعية تُحلُّ آلياً بمجرد مناقشة أصولها الكبرى ومكامِن الاختلاف حولها"[1]، ومن رفعة الإنسان وعلوِّ همَّته أن لا يحفل بِسَفاسف الأمور ولا يضيع بها أوقاته وأوقات غيره، ويذر ما هو أهم منها وأعظم، فإذا أراد أن يلقي كلمة في مجمع من المجامع فعليه أن يُرتِّبَها ويُنظِّمَها قبل إلقائها وأن يَعرفَ ماذا يريد من الناس وما الذي يريد إخبارهم به[2]، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحدث عن نفسه يوم أن ذهب إلى سقيفة بني ساعدة حيث عُقد مجلس الأنصار فقال قائل: "أيها الأنصار" منَّا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بنُ الجرَّاح رضي الله عنهم، فقام عمر ليتكلم فأسكته أبو بكر فخطب الناس فأحسنَ القول، وكان عمر يقول: " والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاما قد أعجبني خشيت ألاَّ يبلِّغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس"[3].

2- محاصرة الخصم بكلماته الباطلة:

ثم مما يستعان به على إفحام الخصم أن تمسك عليه الكلماتِ الباطلةَ التي يقولُها وتسجلَها، وهو من أساليب الإقناع أن تتدرج في الطرح بغرض الإيقاع بالخصم وإظهار خطئه وقد لا تعترض عليه مباشرة، بل تمهله حتى يُتِمَّ كلامه ولو كان كلاما خطأً لتسجل ألفاظاً تُدِينه من خلالها، فتقول له: قد قلت: كذا في كلامك، والحقُّ أن تقول: كذا ، فعليك باكتشاف المتناقضات في كلام من تناقشهم، وهذا ما كان يفعله علماء الإسلام في المناظرات، فمثلاً: من المشهورين بالمناظرات مع النصارى الإمام الباقلاني -رحمه الله تعالى-، وهو من أذكياء المسلمين وعلمائهم، وكان الخليفة قد

---

[1]- أحمد بن سيف الدين تركستاني، الحوار مع أصحاب الأديان، مشروعيته وآدابه، دد، دط، دب، دت، ص39.

[2]- ينظر: عبدالله مصطفى العدوي، أدب التخاطب، دار الأندلس الخضراء، ط1، جدة، 1420هـ- 1999م، ص139.

[3]- أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح، (كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ : «**لو كنت متخذا خليلا**»، رقم الحديث: 3668)، ج: 5، ص6.

أرسله إلى النصارى لمناقشتهم، فجاءوا له بالبطريك فاحتفى الباقلاني به واحتفل، ورحب وسأله أحسن سؤال فقال له: كيف الأهل والولد؟ – وهو يعلم أن الراهب عندهم لا يتزوج–، فعظم عليه وعلى الحاضرين من النصارى جدًّا، وتَغيَّروا وتقطبت وجوههم فقالوا: كيف تسأل عن أهله وأولاده؟ قال: وما تنكرون؟ قالوا: إنا ننزه هذا عن الصاحبة والولد، فقال: يا هؤلاء! تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحب والولد وتَبرَؤُون به عن ذلك، ولا تستعظمون لربكم عز وجل أن تضِيفوا له هذه السوءة وهذا الكلام؟ فسُقِط في أيديهم، وبُهتوا، وانكسروا، ولم يثيروا جواباً، أي: لم يرجعوا بجواب[1].

3– التدرج والبدء بالأهم:

المحاور الناجح هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، ولا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، ولا علاقة له بأصل الموضوع، فمعرفة الأهم والبدء به يختصر الطريق، وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – بأهم قضية وأكبر غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ الأعراف: 59، 65، 73، 85، قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، ولما أن انتهَوا من تبليغ أكبر رسالة وأهمها التفتوا إلى نشر تعاليم الدين التي كلفوا بتبليغها من أصول الدين وفروعه فحصل لكثير منهم الاقتناع بفضل هذا الأسلوب الجيد في الحوار، ومع التأكيد على هذا الأدب– البدءُ بالأهم فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلِّم له ببعض الأمور تسليمًا مؤقتًا حتى يصل إلى القضية الأم والمسألة الأهم، يقول الإمام السعدي رحمه الله في تفسير كلمة "الحكمة" في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ النحل: 125، " ومن الحكمةِ الدعوةُ بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قَبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، ويستخدم الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب... "[2]. ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال

---

[1]– محمد صالح المنجد، سلسلة الآداب، دط، دب، دت، بتصرف ص29.

[2]– عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، دب، 1420هـ– 2000، ص 452.

الشرك، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ الأنعام: 76، وهذا على وجه التنزل مع الخصم، أي ربي -بزعمكم- ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ الأنعام: 76، فبطلت عبادة الكواكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر ولما رأى الشمس حتى وصل بهم إلى حد إبطال ما هم عليه من الشرك[1].

4- العلم:

يقول طه عبد الرحمان حاضًّاً على ضرورة العلم بموضوع الحوار كسبيل جيد في التأثير على المخاطَب وإقناعه: "أما قصدُ العلم بالشيء، فلأنَّ المستدلَّ يحتاج إلى البناء على معرفة كافية بالواقع، والخلوُّ من هذه المعرفة يجعله إما مغالطا إن علم بخلوه منها، فلا يستحق المحاوَرة، وإما جاهلا إن لم يعلم به، فيُنبَّه على جهله"[2]؛ فما أسوأ أن يُحاور الإنسان غيره في موضوع لا علم له به، والأسوءُ من ذلك أن يكون عالما بجهله وعلى الرُّغم من ذلك تجده يُفتي بما يحلوا له ويحاوِر فيما إن قُدِّر له أن يُقيَّض له من كان ذا باع وعلى قَدم في الإحاطة بذلك الموضوع عِلماً لأفحمه وألزمه الحجة، وقضى له بالإحجام والخرس؛ ولقد بيَّن طه عبد الرحمان أن أيَّ حوارٍ يُراد منه الإقناع والتأثير لابد أن يسير وفق ما أسماه "غرايس" بقواعد التخاطب المتفرِّعة على مبدإ التعاون والتي تضم أربعة أقسام ينتظم من خلالها الحوار، ومن بينها : "قاعدةُ كيفِ الخبر"، وهي بدَورها تَضمُّ شرطين اثنين فأما الأول على قوله فهو: "لا تقل ما تعلم كذبه؛ وأما الآخر فهو:لا تقل مالي سلك عليه بينة[3]؛ "فالعلم إذن شرطٌ أساسٌ لنجاح الحوار وتحقيق غايته ألا وهي إقناع السامع، وبدونه لا ينجح حوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد، فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافعَ عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير

[1]- ينظر: عمر بن عبد الكامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، بحث مقدم إلى: المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دط، دب، دت، ص19.

[2]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص231.

[3]- طه عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص238.

والاحترام، ويعرِّض بغيره إلى الوقوع في الخطأ مثله"[1]؛ والله تعالى يقول: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ آل عمران: 66، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في التأكيد على ضرورة العلم وأهميته لمن يتصدى للحوار: "وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما يُنهى الضعيفُ في المقاتلة أن يقاتِل علجًا قويًا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة، وقد ينهى عنها إذا كان المناظر مُعاندا يظهر له الحق فلا يقبله"[2]، أما أن يحفظَ جملة أو جملتين أو مسألة أو مسألتين، ثم يظنَّ أنه قد حاز العلم كله، ولا حاجة به إلى مزيد، ثم يُنَصِّبَ نفسه للحوار في عظيم الأمور فيتكلم بما لا يعرف، ويجادل الناس بأمورهم الجِسام عن جهل، فإن ذلك يضر به ويعرضه لأنواع المزالق، وقد يَجِدُ مِن العامة مَن يَطرب له ويُعجب فيقتنع بكلامه[3]؛ يقول الحق سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ الحج: 3. ويقول أيضا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ الحج: 8 ولقمان: 20.

5- الدليل:

وهو ما يسمى في اللسانيات التداولية بعنصر "الاعتقادية" وفحواه أن " كل محاور يعتقد القضايا الضرورية والبديهية والمسلم بها، فضلا عن كونه يعتقد الرأي الذي يَعرضه على الغير، ويعتقد صحة هذا الاعتقاد وما يلزم عنه وصحة الدليل الذي يقيمه على رأيه، كما أنه يعتقد الانتقاد الذي قد يوجهه على رأي الغير، ولا يقتنع برأي الغير إلا إذا اعتقد أن هذا الرأي مقبول، وأن عناصر الدليل الذي أقامه هذا الغير عليه مقبولة، وأن تدليله بها مقبول هو بدوره"[4]، وهذا أمر مسلَّم به فلا يحسن بالمحاور العاقل بمكان أن ينساق وراء كلام كل ناعق حتى يتبين له أن ما يقوله أو يدعوا إليه حق، وإلا كان إمَّعة مضطرب الحال متقلب الفكر لا عزّة له بنفسه ولاَ ثقة له إلا بما عند المخالِف ولو كان ما

---

[1]- ينظر: عمر بن عبد الله كامل، المرجع نفسه، ص 17.

[2]- تقي الدين أحمد بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411هـ- 1991م، ج: 7، ص174.

[3]- ينظر: سيف الدين شاهين، أدب الحوار في الإسلام، دار الأفق، ط1، الرياض، 1414هـ- 1993م، بتصرف، ص 118.

[4]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

يدعوا إليه مجانبا للحقِّ، والمحاور الناجح هو من ثبّت كلامه وعلمه وآراءه بالدليل والبرهان، وتسهم هذه الآلية –الشرط من شروط التداول اللغوي–، في رفع ذات المرسِل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية في الخطاب عند التلفظ، فتصبح السلطةُ سلطةَ الخطاب الذي يتوارى المرسِل وراءه، ومن ذلك استعمال الأدلة الجاهزة من النصوص الدينية، وأقوال السلف، والحِكم والأمثال، وهذا متعلق بذات وهوية الطرف المخاطَب ومدى اعتقاده بصحة ذلك النوع من الاستدلال فإن كان ممن يؤمن به ويسلِّم فذلك مدعاة لاقتناعه وتسليمه، وإلا لزم معه –مبدئيا– استعمال نوع آخر من البراهين والإثباتات عقليةً كانت أو تاريخية أو واقعية، حتى يتقرر لديه صحة ما يراجَع فيه ويحاوَر، وما يدعى إليه، لتكون هي المنطلق إلى ما هو أسمى منها وهو تصحيح المعتقد الفاسد ومن ثمة درء الخلاف، ولا تعارض بين نقلي الأدلة وعقليها بل هما متعاضدان متآزران[1]؛ " فإن الإقناع لا بد أن يكون بالحجة والبرهان لا بمجرد الكلام، والرد من غير دليل، بمنزلة هدم العلم بالشك المجرد، وسَوقُ الحقائق المجردة أقلُّ تأثيراً في النفوس من سَوْقها مدعمة بالشواهد المعتمدة، سواء من الكتاب أو السنة أو أقوال الأئمة والعلماء"، والقرآنُ الكريم من أعظم ما يَتسلح به المحاوِر[2]؛ ينبغي على المحاور أن يحرص على التماس الدليل الواضح متجنبا التحايل لخديعة خصمه، وينبغي ألَّا يكون الدليل الذي يقدمه ترديدا لأصل الدعوى، فإذا كان كذلك لم يكن دليلا، وإنما إعادة للدعوى بصيغة ثانية، وقد يخفى على الخصم إذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها ولكنه حيلة باطلة لا يلجأ إليها طلاب الحق، ومن عرف من خصمه الاعتماد على الحيل قطع مكالمته إلا إذا لم يكن له بد من ذلك، فعندئذ عليه بالحذر والاحتراز، وذلك بدفع هذه الحيلة، وألاَّ يُمَكِّن الخصمَ من التعمق في

[1]– ينظر: بوصلاح فايزة، الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام– مقاربة تداولية–، رسالة ماجستير، إشراف: د. بن عيسى عبد الحليم، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران– السانيا–، 2010م، ص122.

[2]– عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري ، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير – رضي الله عنه – وتطبيقاته التربوية، إشراف: د. عبد الرحمان بن رجاء الله الأحمدي، أطروحة للماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1433هـ– 1434 ص72.

حيلته، وإن تعمق استكشفه وبيَّن حقيقته[1]، ولقد صور لنا القرآن الكريم واحدة من أروع قصص الحوار الذي يعتمد الأدلة الساطعة والحجج الدامغة، إنها قصة الحوار الذي دار بين نبي الله إبراهيم والملك الكافر النمرود فقال الحق تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: 258، يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمات: و"كَانَ طَلَبَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ البقرة: 258، أَي: الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ حُدُوثُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ بَعْدَ عَدَمِهَا، وَعَدَمُهَا بَعْدَ وُجُودِهَا. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ ضَرُورَةً؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ بِنَفْسِهَا فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ أَوْجَدَهَا وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَدْعُوا إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمُحَاجُّ – النُّمْرُودُ–: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ البقرة: 258 "[2]؛ وهكذا فلن تجد في القرآن كلِّه إلا طَلَبَ الحجة والدليل، فالمفروض أن يتجنب حوار التدافع لأنه يستعمل القوة، ويتجنب حوار القوة لأن منطق الشدة يبدأ عندما ينتهي مبدأ وأسلوب الإقناع الحواري التفاهمي.

6– ترك المراء والجدال بغير الحق:

لقد حذرنا رسول الله من مغبة الوقوع في المراء والجدال العقيم الذي لا ينفع أصحابه فقال مبشرا من كف عن هذا الخلق الذميم: « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحِقا** »، وحذرنا الله تعالى من المماراة ومن كثرة التشدق الذي لا طائل منه، ومن ذلك ما كان منه من نهي عن السؤال عن عدد أصحاب الكهف فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾الكهف: 22، لأن فرعيات هذه القصة إنما هي أمور ثانوية لا تُقدّم ولا تُؤخّر؛ لذلك قال تعالى بعدها: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ الكهف: 22، أي: لا تجادل في أمرهم، ثم يأتي فضول الناس ليسألوا عن زمن القصة

[1]– محمد حسن بخيت، أدب الحوار، مؤتمر الجامعة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 7–8–ربيع الأول–1426 هـ –16–17– أبريل– 2005م، ص 26.

[2]– أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، ط1، بيروت، 1419هـ، ج: 1، ص525.

ومكانها، وعن أشخاصها وعددهم وأسمائهم، حتى كلبهم تكلموا في اسمه، وهذه كلُّها أمور ثانوية لا تنفع في القصة ولا تضرُّ، ويجب هنا أن نعلم أن القَصَص القرآني حين يبهم أبطاله يُبْهِمهم لحكمة، فلو تأملتَ إبهام الأشخاص في قصة أهل الكهف لوجدته عَيْنَ البيان لأصل القصة؛ لأن القرآن لو أخبرنا مثلاً عن مكان هؤلاء الفتية لقال البعض: إن هذا الحدث من الفتية خاص بهذا المكان؛ لأنه كان فيه قدر من حرية الرأي، ولو حدد زمانهم لَقال البعض: لقد حدث ما حدث منهم؛ لأن زمانهم كان من الممكن أن يتأتّى فيه مثل هذا العمل، ولو حدد الأشخاص وعيَّنهم لقالوا: هؤلاء أشخاص لا يتكررون مرة أخرى[1].

7- خُلوُّ الأدلة من التناقض:

التناقض في الأدلة من أكبر مؤشرات الحوار الفاشل لذلك بين موشلر فساد هذا الأسلوب في الاحتجاج أثناء التحاور:لأن ما يُحدِّد تنظيم المداخلة ويقود نشاطها الحجاجيَّ هو مبدأ"عدم التناقض" بمدلوله الحجاجي وليس المنطقي. وصيغة هذا الأخير عند موشلر هي أنه: ليس من الممكن الدفاع عن نتيجتين متعارضتين اعتمادا على الحجة نفسها[2]، "فعلى المحاور عندما يفرض أدلته أثناء الحوار أن يسوق الأدلة التي لا تحمل أي تناقض فيما بينها"[3]، ولْيحذر من وقوع في التعارض فيها لأن "وقوع التعارض بين الأدلة قد يوهم التناقض، وقد يفضي إلى الجهل أو الخطأ لأن من سمع الدليلين لم يترجح عنده أحدهما على صاحبه وتَوهَّم تناقضهما ومن سمع أحدهما دون الآخر اعتقد مضمونه وعمل به وربما كان هو المرجوح فيفضي إلى الجهل والخطأ، و المحاور الذي لا يُجيد طرح الأدلة أو لا يمتلك الأدلة القوية أصلا يُعرِّض نفسه للفشل في الحوار، ومن ثمة عدم حصول الإقناع لأن الطرف الثاني في الحوار خصوصا إذا كان طبعه العناد فإنه يتحيَّنُ ويترصَّد الأخطاء التي تصدر من محاوره، ليتخذ منها سلاحا يُقوِّي به جانبه ويستعين به في حواره لدحض حجج محاوره وبيان وجوه فسادها،

---

[1]- يُنظر: علي بن نايف الشحوذ، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، دد، دط، دب، دت، بتصرف، ص241.

[2]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظَرة، ص114.

[3]- ندى لقمان محمد أمين الحبار، إيمان عبد الجبار أحمد، أثر استخدام طريقة الحوار في تحصيل طلاب الثانويات الإسلامية في مادة الحديث النبوي الشريف وتنمية الثقة بأنفسهم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد: 11، العدد: 3، 2011م، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، ص116.

لذلك يحرِّض العلماء دوما على التعلم الجيد قبل الدخول في المحاورات، لأن سبيل عدم الوقوع في التناقض في الأدلة هو المعرفة التامة بالموضوع، وإلاَّ تُخُوِّف على المحاور ذاتِه من الوقوع في المنزلقات، وقديما كان علماء هذه الأمة يَقدُرون لهذا الأمر حقَّ قدره، فلا يناظِرون حتى يحيطوا بمجالهم الذي يحاورون فيه علما، وإذا وُجد داع وسبب لإقامة الحوارات فإنهم يُقَدِّمون أعلمهم، وهو ما نجدُه عند علماء مدرسَتَيِ النحو: البصرة والكوفة مثلا، فعلى الرغم من أن لكل مدرسة أقطابا كُثراً إلا أننا لا نكاد نسمع عن حوارات رُوَّاد هاتين المدرستين إلا كلامَ أبرز علمائهما، ومثال ذلك مناظرة سيبويه مع الكسائي، أو ما يُعرف بالمسألة الزُّنبورية، فقد اختير لها من كل مدرسة ألمع أعلامها.

8- الصدق في الاستدلال:

"إن اعتماد مبدأ الصدق في الحديث يجعل الحوار نافعا ويقود إلى نتائج صحيحةٍ يمكن تعميمها والإفادة منها في المواقف المتنوعة بطمأنينة وإذا تخلى المتحاورون عن الصدق في الاستدلال فإن الحوار يفقد نفعه ويقود إلى نتائج سلبية"[1]، فإن بعض الأنفس لسقمها وفساد طباعها تجعل الغلبة والظهور أكبر همِّها في حواراتها، وحتى وإن تبين بطلان رأيها وثبت عندها صحة ما عند الآخر تراها تجتهد في الانتصار لأصحابها وفي دحض وإنكار إثباتات وحجج الغير ولو كلَّفها الأمر استعمال الاستدلالات الواهية وألوان الحيل في حواراتها، وهذه أخبث صفة في النفس وأبغضها كما بين رسول الله ﷺ، وهي الصفة التي لا يستقيم معها الأمر بحال أن تكون خلقا في نفس المؤمن، إنها صفة الكذب، ولا يلجأ إليها إلا الضعيف وزيادة على كونه ضعيفا أنه مستخفٌّ بنصوص الدين الحنيف، والإنسان الذي يعتمد الحجج الباطلة يقوِّضُ بناءه من حيث لا يدري، فإن محاوره إذا فطن لحيله ردَّ عليه كلامه كله ونفر من مجالسته وانتفى عن نفسه الاطمئنان و التصديق به ، ومن ثمة تفتقد جدوى الحوار ويُعدم الإقناع، يقول الأستاذ طه عبد الرحمان: "...، ولما كانت قاعدة الصدق شاملة للجوانب الثلاثة: القول والفعل والصلة بينهما، فإنها تأتي في مبدإ التصديق الإسلامي، متفرعة على الجانب التهذيبي منه، بينما تأتي في غيره متفرعة على الجانب التبليغي كما هو الشأن بالنسبة

[1]- ندى لقمان محمد أمين الجبار، أثر استخدام طريقة الحوار في تحصيل طلاب الثانويات الإسلامية في مادة الحديث النبوي الشريف وتنمية الثقة بأنفسهم، ص116.

لقاعدة الكيف المشتقة من مبدإ التعاون ل"غرايس"، والتي اقتصرت على ضبط جانب الصدق في الخبر وحده؛ ثم إن شمول قاعدة الصدق هو الذي حذا بالماوردي إلى إسقاطها من قواعده التبليغية وإيرادها في باب التهذيب"[1].

9- عدم التسرع في الإقناع:

إذ إن الغاية من الحوار لا تقتصر على الإقناع فقط، لأن ذلك مما يجرح مشاعر الطرف الآخر، والغاية تبدأ من مجرد بيان الحق للآخر وإن أنكر، وأبَى، فالأفضل أن يُظهِر المحاور وجهة نظره بصورة واضحة، ويعطي الفرصة كاملة للطرف الآخر – حتى ولو كان خصماً – ليُظهِر وجهة نظره، ثم تعطى فرصةٌ زمنية للاثنين حتى يتأمل كل إنسان وجهة نظر صاحبه، فتتضح الرؤية مع هدوء الخواطر وفتور الانفعال الوقتي الذي يصاحب لحظات الحوار[2]، ويَجب على المحاوِر أن لا يُظهر لمن يحاوره أن أكبر غايته هي الظفر بالفوز والغلبة في الحوار وقد أكَّد موشلر من خلال قواعد الحوار التفاعلية أن أية محاورة تُلزم المشاركين فيها بالاستجابة للطقوس التي تقتضي احترامَ مجالِ الآخر وعدمَ تهديدِ وجهه علما بأن مسار الحوار يحتمل فقدان الوجه أو ربحه، ومفهوم الوجه يعني أن كل محاوِر يرغب من جهة في حماية مجاله أو وجهه ومن جهة أخرى في الحصول على تقدير الآخر له[3]، لذلك فإن الخروج عن هذا المبدأ الأخلاقي إلى الإكراه والتحتيم بدافع الإقناع ليس من سمات الحوار الحقيقي بل هو من سمات الجدل المذموم ، وقد نهانا الله تعالى عن حوار الإكراه والقسر والإرغام، فليس الإقناع شرطا في نجاح الحوار، بل لربما كان من الأفضل في بعض المواضيع إرجاء الحوار فيها إلى حين حصول الاستعداد التام من المحاوَر –المتلقي– فلعل ذلك أدعى لحصول الإقناع، وهو ما فعله رسول الله ﷺ في حواراته مع قومه ومع غيرهم، فبذلك أمره الله تعالى وأخبره بأن واجبه هو التبليغ وكفى لا الإكراه وإجبار الناس على دخول الإسلام، أما تحقق الإقناع –الهداية– فمن الله وحده.

---

[1]– طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص252.

[2]– أحمد بن سيف الدين تركستاني، الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وآدابه، ص39.

[3]– يُنظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظَرة، ص113.

10- التقارب في المستوى العلمي:

أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة حتى لا يؤدي استعظامُ أحدِهما الآخرَ أو استحقارُه له، إلى أن يضعف عن القيام بحجته، أو يتهاون فيه[1]، فالتقارب في الباع المعرفي أدعى لقَبول الحق إن ظهر أما إذا كان أحدُ أطراف الحوار ضعيف الحجة جاهلا بموضوع الحوار فإن الشخص المتحاور معه يكون أبعدَ عن التسليم له وعن الاقتناع بكلامه، ثم إنه من معرفة أقدار الناس والتأدب معهم في الحوار أنه إذا قصد إليهم إنسان لمحاورتهم أشاروا على من يتوسمون فيه المقدِرة على الإقناع فيمثلهم لأنهم يرونه الألحنَ بالحجة، والأقدر على المحاورة، وقديما كان لقبائل العرب شعراءُ فحولٌ ومفوَّهونَ يذودون عنها كلَّ جارح من الكلام، وإذا احتِيج إلى محاورة قبيلة اجتُهِد في اصطفاء الأفضل وأخرجت كل قبيلة لأعدائها أنبغ وأعلم شعرائها، و لكلِّ أمة علماؤها الذين يُحاجُّون عنها ويحاورون باسمها فلا تعمد أبدا إلى صغير ولا إلى طاعن في السِّنّ ليحاور أو يتكلم باسمها إلا إذا ثبت عندهم أنه الأرجح عقلا والأكثر علما وأدبا فالمعيار المحكِّم عندها هو العلم أبدا، ودأْب كل حاكم أن يُحيط مجلسه بألسنة صارمة تُشيح عن ساحته ما قد يهزُّ عرشه مما يطاله من ألسنة مناوئيه، ولا عيب ولا عجب في كبيرِ الاهتمام بأمر الحوار والعناية به إلى هذا المبلغ، بل هو أدب في الحوار وشرط أساسي، لطالما كان الهدف من الحوار البحث عن الحق.

المطلب الثاني: أهداف الحوار

وهي كل ما يحقق الخير والصلاح والأمن والسلام والرخاء والطمأنينة للناس كافة. وفي اللفظ القرآني – في سورة الحجرات –، ما يُغني ويفيد ويقوي ويزكّي هذه المعاني جميعا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ الحجرات: 13. فالتعارف هنا يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكلَّ ضروب العمل الإنساني المشترك، لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر. وهو هدفٌ سامٍ من أهداف الحوار، وينبغي أن تبدأ أهدافُ أي حوارٍ من الإنسان وتدور حول شؤونه وقضاياه، وتعود إليه، لئلا يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الغني. وهذه الأهداف من

[1]- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص74.

الكثرة بحيث يتعذّر حصرها، ولكن يمكن إجمالها فيما اتفق المجتمع الدولي اليوم عليه من أن يجعلها أهدافاً إنسانية سامية، ويمكن اتخاذ ما ورد في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي من أهداف مثالاً لها. فقد نصَّ هذا الإعلان على الأهداف الآتية[1]:

- نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات.

- تنمية العلاقات السلمية والصداقة بين الشعوب والوصول إلى جعل كل منها أفضل فهماً لطرائق حياة الشعوب الأخرى.

- تمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدم العلمي الذي يحرز في جميع أنحاء العالم والانتفاع بثماره، والإسهام من جانبه في إثراء الحياة الثقافية، وتحسين ظروف الحياة الروحية والوجود المادي للإنسان في جميع أرجاء العالم والعمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كليا أو جزئيا في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجيا على المدى الطويل[2].

كما يهدف الحوار إلى إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، ومن أسمى وأنبل غاياته الدعوة إلى الله تعالى: فالحوار الهادئ مفتاحٌ للقلوب وطريقٌ إلى النفوس مجدٍ وناجعٌ. قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ النحل: 125، ويهدف الحوار أيضا إلى تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر[3]، ومن الأهداف المشروعة للحوار أيضا: الوصول إلى الحق ودحض الباطل وإزالة الشبهة: ولشيخ الإسلام وتلميذِهِ ابنِ القَيِّم من ذلك الشيءُ الكثيرُ في مناظرة أهل الكتاب، ولهما مؤلفات في ذلك بيَّنَا فيها الحق ودفعا الشبه. ومن الأهداف أيضا: فصل الخلاف في المسائل الاجتهادية الخلافية. كما أنه يتضمن ضرورة تعريف الناشئة بالأساس العقلي والمنطقيِّ لأيِّ قضية مطروحة أمامهم، وألَّا يردِّدوا المعلوماتِ ترديدا

[1]- عبد الرزاق بن عثمان التويجري، وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار (1)، دد، دط، دب، دت، ص33.

[2]- أحمد بن سيف الدين تركستاني، الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وآدابه، ص 15.

[3]- عمر عبد الكامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، ص6.

أعمى دون فهم لمضمونها الحقيقيِّ، أو دون إدراك لارتباطها بواقعِهِمُ الفردي والاجتماعي كما يجب أن تباح لهم الفرصة للمناقشة الجادة البنَّاءة التي تحلِّل أبعاد الموضوع المطروح للمناقشة، وتلقي الضوء على جوانبه المختلفة[1].

المطلب الثالث: أهمية الحوار

لا يخفى على متبصِّر ما للحوار من أهمِّية، وبالأخصِّ في هذا العصر المليء بالأزمات الحادة والخلافات المريرة التي أفقدت الإنسان راحته وطمأنينته، وعصفت بآفاقه وآماله وأفكاره، والمتأمِّل في أكثر هذه النزاعات يجد أن أهم أسبابها هو النزعة الفردانية والاستئثار بالآراء والقرارات في عظيم الأمور وحقيرها وغياب الحوار الإقناعي المثمر والفعال بين الفرد وجماعته (الأسرة، والمدرسة، والشارع) وهذا ما شرط جوهري من شروط التداول اللغوي في اللسانيات الحديثة وهو ما يسمى بالاجتماعية كما أشار إلى ذلك طه عبد الرحمان فقال: " إن المحاور يتوجه إلى غيره مطلعا إياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه؛ وفي هذا الإطْلاع وهذه المطالبة يكمن البعد الاجتماعي للحوارية، ومما يزيد هذا البعد الاجتماعي رسوخا هو محاولة تجاوز الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزا لا يأتي بالحل الوحيد والأوحد بقدر ما يأتي بحلول متوازنة ومعتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عناصرها وتستجد مطالبها على مَرِّ الزمن[2]"، فالإنسان -كما أكد ذلك ابن خلدون- اجتماعي بطبعه، وهذا ما يعرف ضمن عناصر "النطقية" بـ: "الاجتماعية" إذ "يمتاز بالحوار بين الطرفين ببعده الاجتماعي، فالمحاور يطلع محاوره على ما يعتقد وما يعرف، ويطلب منه أن يتفاعل معه تفاعلا يزيد البعد الاجتماعي رسوخا، فالحوارية تقوم على مبدأ التعاون"[3]، ولقد عنيت اللسانيات التداولية بوصف العلاقات القائمة بين المرسِل والمرسَل إليه في إطار عملية التواصل، كما تُعنى بالحدث اللغويِّ بوصفه تعابير مدرَجة في عملية التخاطب...، فالأهم في عملية الاتصال هو الشكل

[1]- محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، دط، دب، 1425هـ-2005م، بتصرف، ص82.

[2]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص37.

[3]- ينظر: ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية- ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: بلقاسم دفة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، دت، ص78.

الذي يقوم المرسِل من خلاله بإفهام المرسل إليه ما يريد إيصالِه إليه باللجوء إلى سلاسل من العلامات[1].

الفرع الأول: أهمية الحوار في المجال الدعوي

يكتسي الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ومعلم بارز في منهجها الرشيد. وللحوار دوره الكبير في تأصيل الموضوعية وردِّ الفكرةِ المغرضةِ كالفكرةِ القائلةِ: إن الإسلام دين القهر، وإنه انتشر بالسيف كما روَّجه أعداء الإسلام من المستشرقين والمنصِّرين؛ وكيف يصح ذلك والإسلام دين الحوار؟! وفي التنزيل الحكيم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ البقرة: 256؛ فلو كان صحيحا ما يُشاع أن الإسلام دينُ السَّيف لما كان للحوار معنى، وقد حفل القرآن الكريم بعشرات النصوص حول الحوار تأمر به وتُنوِّه بقيمته ودوره، وتقدِّم نماذجَ رفيعةً من حواراتِ الأنبياء والمرسلين، نماذجُ ينبغي أن يسلكها الدعاة إلى الله مع مختلف أصناف المدعوِّين من أهل الكتاب والمشركين والملاحدة ومنكرِي البعث وغيرهم[2]. كما لا يخفى دوره في تعزيز الأصول وتقوية الثوابت، "أضف إلى ذلك دوره في تقوية المشتركات و تعزيز الجوامع وحصر الخلاف، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾ العنكبوت: 46 – 47، فهذا هو الحوار بالحسنى والذي أُمِرنا به في هذه الآية، ذُكر في سياق جملةٍ من القواسم المشتركة مما يدل على أن الحوار يقوي هذه الثوابت ويوَثِّقها"[3]. ومما يبين أهمية الموضوع أيضا: ما يظهر في هذه العصور المتأخرة مع كثرة الخلاف – من خروج الحوار بين المسلمين عن أهدافه وغاياته، وما يطرأ عليه غالبا من سوء

[1]– ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية– ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ص136.

[2]– ينظر: عبد الرب نواب الدين آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، وزارة الأوقاف السعودية، دب، دت ص39.

[3]– عصام أحمد البشير، الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، الدورة العشرون لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة التعاون الإسلامي، دط، دب، دت، ص13.

الأدب وحدَّةِ الكلام، وربما تطور إلى تبادل التهم والسب والشتم، بل لقد أصبح ذلك من مميزات الحوار في – كثير من الأحيان – في عالمنا الإسلامي، بما في ذلك الحوار بين الجماعات الإسلامية[1]، كما أنه إلى كل ذلك أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، ونوع من أنواع الجهاد وهو جهاد اللسان والكلمة، وقد يدخل في الحوار من لا يحسنه أو من ليس هو من أهل العلم خاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه الجدال المذموم، وإنما كان مذموما، لأنه لم يقم على آدابٍ وضوابطَ، فكانت دراسة الحوار وآدابه من الأهمية بمكان، لأنه لا يثمر إلا بذلك...[2].

الفرع الثاني: أهمية الحوار في المجال التربوي (الأسري)

لا يجهل أحد دور الحوار في تحقيق الترابط الأسري من خلال القضاء على الخلافات الزوجية، وغرس الثقة في نفوس أفراد الأسرة، وخلقِ روح الفريق الواحد فيجلب التعاون وتحمُّلَ المسؤولية في جوّ تسوده المحبة والسكينة[3]، أليس الله تعالى عدَّ التفريق بين الزوجين بالطلاق ضررا عظيما، وأرشدنا إلى العلاج الناجع له فقال في محكم تنزيله: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾** ﴾النساء: 35.؟ قال الفقهاء: إذا وقع الشقاق بين الزوجين، أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة، ينظرُ في أمرهما، ويمنعُ الظالمَ منهما من الظلمَ، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما، بعث الحاكمُ ثقةً من أهل المرأة، وثقةً من قوم الرجل، ليجتمعا وينظرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة مما يَرَيانه من التفريق أو التوفيق، وتَشَوَّفَ الشارعُ إلى التوفيق، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ**﴾النساء: 35 "[4]؛ ولا تقتصر أهمية الحوار على الزوجين فحسب، بل تتعداهما إلى الأولاد، فيتعلم الطفل اللغة بسرعة ويكون لقنا طلق اللسان فصيحا، يتمتع بجرأة وشجاعة أدبية، وأنه يريحه نفسيا من الضيق النفسي الذي يعاني منه بسبب صمته احتراما لوالدَيه، والذي قد يؤدي إلى الوسواس القهري، أو الانفصام، كما أنه يدرِّبه على

[1]– ينظر: يحي بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص41.

[2]– ينظر: أبو معاذ موسى بن يحي الفيفي، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟، ص69.

[3]– عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه وتطبيقاته التربوية، ص52.

[4]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص296 .

الإصغاء الجيِّد للآخرين، وفهم مرادهم، ويتعلم مهارات الاتصال والحوار بطريقة علمية تدريبية[1]، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في حواره مع أزواجه فهو كما أخبر عن نفسه خيرنا لأهله ولو أنَّا اهتدينا يهديه واستننَّا بسنته في حواره مع آله الطيبين المرضيين جميعا لما زغنا ولما تحولت أكثر بيوتاتنا إلى خصامات وانفصامات أرهقت كاهل المجتمع المسلم بأعبائها وتبعاتها الخطيرة.

الفرع الثالث: أهمية الحوار في المجال التعليمي

الحوار التعليمي ينفرد عن غيره من أساليب تعليم اللغة بعدة مزايا، فهو صورة مصغرة لما يجري في المجتمع وهو نموذج حي لما يدور بين الأفراد ثم هو تجسيد واضح لمفهوم الاتصال، ويساعد هذا الأسلوب على شحذ الأذهان وتشويق النفوس لمعرفة المسألة المطلوبة وإثارة عنصر التَّحدّي والتَّرقب لدى المتعلم وقد أصبحت طريقة الحوار والمناقشةِ وإثارةِ الأسئلةِ من أهم طرق التدريس الحديثة لكونها تثير الاهتمام وتدعوا إلى التفكير الذَّينِ يعدَّان من أهَمِّ خطوات التعلم، وقد وَضعت طرقُ التدريسِ الحديثةُ قواعدَ لتحقيق فاعلية هذه الطريقة منها التدريبات اللغوية الجماعية عقب عرض الدرس، ولقد أصبحت هذه الطريقة أمرا مألوفا في معظم الكتب المعَدَّة لتدريس اللغات سواء أكانت أجنبية أو للناطقين باللغة، ومن أشهر التدريبات اللغوية ما يُدعى "تدريبات الأنماط أو التدريبات البنيوية"، وهي تُتبع من واقع نظري أسست عليه تجربة تعليم اللغات الناشئة عن علم اللغة البنيوي، وعلم النفس السلوكي[2]، ومن الطرائق الناجعة كذلك في تفعيل العملية التحاورية داخل الصَّفّ أن يُشرك المعلِّم التلميذ في تفعيل الدرس وإنجاحه، وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب مرات كثيرة، إمَّا من خلال طرح السؤال ليجيب عنه المتعلمون إن استطاعوا أو يَنتظروا ليسمعوا الإجابة منه صلى الله عليه وسلم، ومما يؤكد ذلك أن الإمام البخاري رحمه الله خصص بابا في صحيحه تحت عنوان: "باب طرح الإمام المسألة ليختبر ما عندهم من العلم"، وأخرج فيه حديث عبد الله بن عمر

[1]–خالد مسعود بن عبدالعزيز الحليبي، مهارات التواصل مع الأولاد– كي يكتسب ولدك، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، ط1، دب، 1431هـ، ص31.

[2]– إسحاق محمد الأمين، الأساس البنيوي الوظيفي لإعداد الحوار التعليمي وتدريباته، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، دط، دب، دت، بتصرف، ص46

رضي الله عنه قَالَ "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**» فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُون قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا" [1]. فالواجب على المربين التأسي بالقدوة صلى الله عليه وسلم في أساليب التدريس حتى يحصل المقصود، ويساعد الحوار الفرد على إبداء الرأي والتعبير عن وجهات النظر، مما يكسبه الجرأة، والثقة بالنفس، ويعالج عيوب النطق كالتلعثم والتأتأة وكذلك يزيد الفردَ في حصيلته الثقافية، كما يُكسِبه كمًّا من الآداب في حسن الاستماع والمحادثة، وفي حسن المجالسة والمعاشرة، ويغذيه بالصبر والنظر في عواقب الأمور[2]. وللحوار أهمية أخرى وهي كونه يعين المعلم على تنفيذه طرائق التدريس الحديثة، والتي جعلت من المتعلمين محاور للعملية التعليمة، فنجد أنّ هذه الطرائق لابد لها من الحوار والنقاش والمحادثة والتي من طبيعتها أن تعطي المتعلم فرصة للنشاط في العمليات العقلية، فينموَ عنده الفهم وتزداد قدرته على التحليل والتفسير[3]، وإذا كان للحوار هذه الأهمية، فإنه يجب علينا أن نوْلِيَه عناية كبرى في مدارسنا، وأن نحرص على تدريب التلاميذ على كيفية إتقان التحاور، وإذا كانت العملية التربوية تعتمد على ما يجري من اتصال بين جميع الأطراف المشتركة في المواقف التعليمية فإن الحوار أو الحديث هو وسيلة هذا الاتصال وجوهرُه، سواءٌ أكان هذا التحاور بين المعلم والتلاميذ، أو كان بين التلاميذ بعضِهم مع بعض، وهو من أهَم الأغراض في تعليم اللغة، وليس ثمة شيءٌ يقتنيه المتعلم في حياته أثمنَ من تمكنه من لغة أهل بلده،

---

[1]- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾ إبراهيم: 24 -25، رقم الحديث: 4698)، ج: 6، ص79.

[2]- يُنظر: عدنان بن سليمان، بن مسعد الجابري ، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير – رضي الله عنه – وتطبيقاته التربوية، ص51.

[3]- عدنان بن سليمان، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

واستطاعته أن يعبر عما في نفسه[1]، ويساعد الحوار المتعلم على كسر حاجز الخجل والتهيب، ويزيد من قدرته على المواجهة، فأثناء التحاور يقف مع زملائه متحدثا ومستمعا، وهو باعتياده هذه المواجهة يَألف مواجهة الآخرين مما يغرس فيه الثقة بالنفس، وتوجيهُ النقد والمشاركة الجماعية في الحوار يخفف من درجة توتره وقلقه، ويوفِّر لديه قدْرا كبيرا من التوافق[2]، ولا يقتصر حد النفع والفائدة من الحوار التعليمي عند هذا الحد فحسب بل إنه البادرة لولوج وخوض غمار الحياةِ ومزاوَلة أنشطتها، وهي أي الحياةُ تفرض التعارف والتمدن والمخالطة، وتأبى العزلة والتقوقع على الذات.

المطلب الرابع: أساليب أو طرائق الحوار

يختلف أسلوب الحوار بحسب اختلاف أصناف الناس، فهو مرتبط بظروف المخاطَبين به، ومرتبط بأحوالهم، وأساليب معاشهم، وهذا ما يُعرف في البلاغة العربية بمقام السامعين أو مقتضى الحال، ولقد تحدث عنه الجاحظ طويلا في كتابه البيان والتبيين، وهذا ما يعرف في اللسانيات الحديثة بالسياق المقامي: le contexte situationnel، حيث يتم التحاور من خلاله بناء على إدراك المتحاورين لأقدار ومستويات بعضهم البعض، فتؤثر شخصيات الحوار بأوزانها من مواقعها في تداول أشكال الحجاج وهو ما يعطي الحوار دفعة نوعية للأفكار المتداولة، فصار الإقناع بالمقام علميا كان أو اجتماعيا لا يتطلب العناء الكبير في البحث عن الحجج الدامغة، بل كانت القيمة الاجتماعية للمتحاورين كافية في الحوار ومسهمة في الإقناع، ولا يخفى كذلك دور الانتماء السياسي والتوجه الإيديولوجي في إثراء الحوار وإقناع المتلقين[3]؛ ونجد القرآن الكريم يراعي مقامات المخاطَبين في تنزله فلا يخاطِب القرشيَّ بمثل خطاب المدنيِّ، ومن بين هذه الطرائق أو الأساليبِ التقرير والتلقينُ والمحاجَّة والتذكير بالنعم، والتخويفُ بالعذاب كما يُعبِّر على لسان الخصوم في محاولات التبرير

[1]- يُنظَر: عبد الله حسين الموجان، الحوار في الإسلام، مكتبة الملك فهد، ط1، جدة، 1427هـ- 2006م، بتصرف، ص300.

[2]- عبد الله حسين الموجان، المرجع نفسه، ص302.

[3]- ينظر: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار الكتب، دط، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص198.

والازدراء والاستخفاف والوعيد والتهديد[1]، وكل محاولة للحوار لا يمكن أن يُكتب لها النجاح إلا إذا توفرت النية الصادقة والإرادة المخلصة ونحن جميعا مسؤولون عن العالم الذي نعيش فيه بصفة عامة ومسؤولون عن أعمالنا بصفة خاصة، ويمثل وعينا الحقيقي بمسؤوليتنا عن العالم وعن السلام فيه طريقا للحوار، والمسؤوليةُ الإنسانية التي نشترك فيها جميعا لا تتعلق فقط بدائرتنا الخاصة وبأفراد مجتمعنا الخاص، وإنما تتعلق أيضا بأفراد المجتمعات الأخرى التي نرتبط معها بعلاقات أو صِلات، والعالم كله اليوم يرتبط بعضه بالبعض الآخر في صورة من الصور، من هنا فقد وجب على المتحاورين اختيار الأسلوب الناجع للحوار الذي تحترم فيه حريات الآخرين وحقوقهم، وهي كما أسلفنا كثيرة متنوعة ومنها: [2].

1-أسلوب التذكير بالنعم والتخويف بالعذاب: (الترغيب والترهيب)

هذا الأسلوب لا تكاد تخلو منه سورة وخاصة السور المكية وفيها يعدِّد الله تعالى نعمه على عباده المؤمنين وهو يُخاطبهم ليُقنعهم بأن لا طريق يهدي إلى الفوز في الآخرة غير الإيمان وأجلُّ تلك النعمِ نعمة الإسلام ونعمة القرآن الكريم، ونعمة العقل ونعمة الأمن...، ومن النعم الُمعَدَّة للآخرة الفوز بالجنة والنظر إلى وجه الله الكريم، وبالمقابل لإيراد الصور المحبَّبة للنفوس على سبيل الإقناع بسلوك مسالكها، فإن الله تعالى يورد الصور المنفِّرة المخوِّفة، من بيانٍ لأحكامه وعقوبته الدنيوية ووعيدٍ بالعذاب الأُخرويِّ، فأما العقوبة الدنيوية فيمثِّل لها بنماذج كثيرة كقصِّ قَصص الأوَّلين، قومِ نوح وهود ولوط وصالح وغيرِهم، وأما العقوبة الأخروية، فإن كتابه سبحانه وتعالى حافل بذكر ألوان العذاب وصنوفه وكذلك سنة نبيه ﷺ ، ومن أمثلة صور الترغيب والترهيب في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٥﴾ الأنعام: 165؛ جاء في تفسير هذه الآية أنها "تخويف وترغيب، فعِقابه تعالى سريع – إذا جاء وقته – لمن عصاه وخالف أمره، ولم يتبع

[1]– نبهان حسون السعدون، يوسف سليمان الطحان، الحواري القصة القرآنية، قصة موسى عليه السلام أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، المجلد7، العدد4، كلية التربية الإسلامية، دب، 2008، ص120.

[2]– محمد حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، دط، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1423هـ- 2002م، ص46.

رسله، وهو غفور رحيم، لمن أَطاعه ووالاه، واتبع رسله فيما جاءُوا به والقرآن الكريمُ كثيرا ما يجمع بين الترغيب والترهيب؛ كي يحمل الله تعالى عباده على طاعته، ويبعدهم عن معصيته"[1]؛ فكان هذا اللون في الخطاب أسلوبا جيِّداً الحوار، ثم تختلف من بعد ذلك إجابة الناس، وما كانت النفوس البشرية لتُذعن للحق وتنقاد بمجرَّد ذكر العذاب وحده كجزاء للتكذيب والجحود، فذلك وحده يدفع إلى الملل وفقد الأمل، بل كان الأفضل أن يُذكر النعيم والثواب الحسن على أعمال العباد ليكون ذلك دافعا على الإقبال على العبادة استبشاراً بجزائها، فلو أن كل الأوامر كانت على وجه الإلزام والقهر لا الالتماس والتحبب أحيانا والإلزام أحيانا أخرى، لما أدِّيَت المهام والمطالب ولما تحقق الإقناع.

2- أسلوب التصوير وضرْب الأمثلة:

المتحدثُ الناجح والمحاور الذكي، هو الذي يحسن ضرْبَ الأمثلة ويتخذُها وسيلة لإقناع محاوره بالفكرة الصحيحة، أو لتقريب وجهات النظر والتعبير عن المعاني وشرحها، فالأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحا وبيانا وهي تفيد مع العالِم كما تفيد مع من هم دونَه، وتؤثِّر على الكبير كما تؤثر على الصغير[2]؛ وقد اعتنى القرآن الكريم بالأمثال فأشار إلى أهميتها وبيان هدفها وهو أن يَفقَه السامعُ ويَتفكرَ في آيات الله، من سماوات وجبال ونجوم وغيرها، قال الله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم: 25، وقال أيضا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت: 43. ومن جهة أخرى هي سبب الاعتبار بأحوال الأمم الغابرة، قومِ عادٍ وثمودَ ومدينَ وغيرِهم، ومن ثمة فهي خير معين على عبادة الله وسبيل جيد في إقناع الناس برسالات الله وأحكام.

3- التعزيز والاحتواء في الحوار:

كثير من المتحاورين في الغالب يحضرون الحوار وكأنهم يحضرون لمعركة، وهذا الأسلوب ينزع الثقة بينهم وكنتيجة حتمية فإنه يؤدي إلى فشل الحوار، بينما في القرآن تجد الدعوة والتوجيه إلى مسألة

[1]- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، (1393هـ - 1973م) - (1414هـ - 1993م)، ج: 3، ص1370.

[2]- يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص 364.

استيعاب الطرف الآخر، وتعزيز الجوانب الإيجابية من الناحية النفسية والعقلية، بمعنى أنك لا تشعر الطرف الآخر بالبعد الشاسع بينك وبينه، وقد تكون هناك جوانب اتفاق ولو صغيرة يمكن أن تبدأ بها لتعزز الثقة، وتشعره بأنه ليس هدفك إسقاطه، إن القضية فيها جانبُ تعزيز لجوانبه العقلية والنفسية، وإزالةُ للحواجز الكثيرة، ومن هنا جاء في القرآن الكريم بيان الأسلوب الناجح للحوار، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾آل عمران: 64[1]، ولقد أكد موشلر على ضرورة الاحتواء في الحوار وحصول الاتفاق بين المتحاورين فقال: "يشكِّل الحوار عموما شرطا معياريا تفرضه المؤسسة الخطابية، لأنه يقوم على مراعاة ضرورية لقانون الخطاب الذي يلزم ممثلي التفاعل اللفظي بالبحث عن الاتفاق، أو بعبارة إيديولوجية التسوية consesus، والاتفاق يصدر في الحوار عن الإقرار(المصادَقةِ) وعن الانسجام الحجاجي...فحالة نعم اللغوية phatique في المحاوَرة الهاتفية، والضحك في الحوار اليومي تشَكِّل أمارات دالَّة على هذه الظاهرة"[2]،

4- اعتماد وسائل الإقناع في الحوار:

الإفحام أو الإقناع، هما مطلب في الحوار بدون شك، فكل واحد مقتنع بفكرة يحاول أن يُقنِع الآخرين بها بالعقل، بالحجة العقلية أو الشرعية ، أو الإحصائيات، وشهادة المنصفين من الخصوم ودلائل التاريخ، فهذا يفرز نتيجة الإقناع[3]، فليس كل اختلاف بين طرفين دليل على فساد النفس والطبع، فلعلَّ الإنسان الذي يُحاوِر في أمر من الأمور يبحث حقًّا عن الحقيقة والصواب لكن آلياته في بحثه ذاك قاصرة، فهذا يحتاج كما سلف إلى المحاورة بالأدلة اللازمة سواء أكانت إحصائياتٍ وأرقاماً، أو كانت إدلاءً وتصريحا بشهادات العُدول الثقات على كون أمر من الأمور – موضوع الحوار – ثبت حصوله على نحو كذا وكذا، فذلك أدعى لقَبول الحقِّ والتسليم والاقتناع، وهو خير من طول الحديث وإجهاد النفس في بيان الصواب للمنكِر، وخير من فرض الرأي بالقوَّة والتهديد، ولقد بين كل من

[1]- ينظر: سلمان العودة، عنوان المقال: أساليب الحوار، أخذناه يوم الثلاثاء، 12- 03- 2018م، على الساعة:10:03، بتصرف، من موقع سلمان العودة، على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية: http://salmanalodah.com/main

[2]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص117.

[3]- سلمان العودة، أساليب الحوار، أخذناه يوم الأربعاء، 12- 03- 2018م، الساعة:10:03، الصفحة السابقة.

"براون" و"ليفنسون" أن مبدأ التواجه في الحوار يحوي خمس خطط تخاطبية على المتكلم أن يختار منها ما يلائم قوله، ومن بينها أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدِّد الذي يصدر من جهته لا على جهة التلطف في القول بل على سبيل وجهة الإرغام، وهذا ما سماه الباحثون في حقل التداولية بعنصر "الإقناعية" وعدُّوه شرطا ضروريا في الحوار[1]؛ وفي هذا يقول الباحث اللغوي طه عبد الرحمان: " فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تَدْرُج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور، وإذا اقتنع الغير بهذا الرأي، كان كالقائل به في الحكم ؛ وإذا لم يقتنع به رده على قائله، مطلعا إيَّاه على رأيٍ غيرِه، ومطالبا إيَّاه مشاركته القول به[2]. ففي هذا إلحاح على ضرورة تهذيب أسلوب الحوار ولين الجانب مع الغير وبهذا نزل القرآن الكريم وبه أمر لا بالإكراه والتعنيف.

5- أسلوب التحبب والتلطف:

وهو ما يسمى بـ: "قاعدة التودد وقوامها"، على حد تعبير لاكوف : "لتُظهِر الودَّ للمخاطَب وهو أحد مبادئ تهذيب الخطاب إذ يراعيه المرسِل في تحاوره مع غيره بغية إقناعه، أما أن يوجه إليه خطابه على جهة الإكراه والإلزام فيما لا يلزم معه الإرغام من المواضيع فذلك يُنفِّره، ولا يُؤثِّر فيه أو يدفعه إلى تقبل رأي غيره أو الالتزام بما يرومه من حواره[3]"؛ ويقول في هذا طه عبد الرحمان: "وأما "قاعدة التودد"، فإنها توجب على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة الند للند؛ ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبته ومتى قام المتكلم بشرط المعاملة بالمثل، مستعملا لذلك الأدواتِ والأساليبَ والصيغ التي تقوِّي عِلاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب، أَنِس به المخاطَب أُنساً واطمأن اطمئنانا إلى ما يُبديه له المتكلم من ثقة وعناية" فالذي يرمي إليه الأستاذ طه عبد الرحمان في هذه الكلمات أن العامل الذي

[1]- ينظر: ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية- ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: بلقاسم دفة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، دت، ص136.

[2]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص38.

[3]- ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية – ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا ص132.

يجعل من خطاب المتكلم ذا قوة إبلاغية وما يجعله خطابا مؤثِّراً مقْنِعا هو أن يفوق المتكلمُ المستمعَ مرتبة وشرفا أو على الأقل أن يتساويا في ذلك، ذلك بأن الغالب على محاورات ومعاملات الناس فيما بينهم أن يصدر الخطاب منهم على جهة الاستعلاء إذا كان المتكلم أعلى درجة من المستمع أو كان بمنزلته هو، فلو نزَّل خطابه إلى مستمعه الذي يحاوره منزلة الملتمس المتوسل المتودِّد في الطلب أو السؤال أو غير ذلك، فذلك لطف في الأسلوب وتواضع في المحاورة جميل، وهو الطريق إلى الإقناع والتأثير؛ وقد حوى القرآن الكريم نماذج بارعة من الحوارات المتأدبة كحوارات الأنبياء مع أقوامهم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: 59، فقد تحبب إليهم وتقرب، من أجل أن يقبلوا دعوته إلى الله الواحد الأحد، وهذا في قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾، ويظهر لهم رحمته ورأفته بهم في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، فعلى الرغم من أنه أعلاهم قدْرا عند الله حتى إنه لو أقسم على الله لأبرّه، لكنه مع ذلك كلِّه تودَّد إليهم عسى أن يؤمنوا بالله، فلبث فيهم كما حكى القرآن الكريم ألف سنة محاوراً إيَّاهم في الله ولأجل الله، ولما كان مكلفا فقط بالحوار الإقناعي الهادئ أي بالإبلاغ وحده دون إلزام بتحقيق الهداية –أي الإقناع بصحة رسالته وصدقها– فقد فوَّض أمرهم إلى الله، ثم لما اشتد إجرامهم وتقرَّر لديه أن "قاعدة التودُّد" هاته لم تُجد نفعا وبما أنه وبمقتضى هذه القاعدة أرفعهم شأنا عند ربه فقد دعا ربَّه أن يأخذهم بما شاء من عذاب فأجاب سبحانه، وكذلك نبي الله محمد ﷺ فقد تودد إلى قريشٍ قومِه تودُّدا يترك المتودِّدُون تودُّدَهم على الرغم من أنه الأفضل عند الله والأجدر، لكنه كان يريد أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبده، وكانوا بتوددِه طلقاء أحرارا، فأعظم بهذا الحوار من حوار متأدب نبيل[1].

[1]– ينظر: محمد فقهاء، أسلوب الحوار وآدابة وقواعده وآفاته، أخذناه يوم الثلاثاء، 12– 03– 2018م، على الساعة 11:20، من موقع الألوكة الاجتماعية على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية:
http://www.alukah.net/social

6- الأسلوب الوصفي التصويري:

"هو أسلوب قائم على عرض مشاهد حوارية، وتكمن أهميته في تبسيط الفكرة وعرضها بشكل حي يجعل القارئ يندمج في المشهد الحواري ويتبنى الموقف الصحيح"[1]، ويعرض هذا الأسلوب من الحوار قصصا ومشاهد حوارية واقعية ويهدف إلى تبسيط الفكرة وتقريب المستمع من الحوار الجاري وحمله على تبني الموقف الصحيح[2]، ونماذج هذا الأسلوب كثيرة في القرآن الكريم ومتنوعة، كحوارات الأنبياء مع أقوامهم، أو كحوار الله مع أنبيائه: عيسى عليه السلام في سورة المائدة، وحواره سبحانه مع موسى في سورة الأعراف...، فقد صوَّرت لنا هذه القَصص العظيمة أسلوب معاشهم وبيئتهم ووضْعهم ذاك حتى لكأنَّ الواحد منَّا عندما يُحدِّث بقصة من قَصصِهم حاضر وشاهد معهم، من خلال ذلك التصوير البارع، فكيف بالقرآن العظيم.

7- التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم:

إن أسلوب التحدي في الحوار، ولو كان بالحجة والدليل فإنه يُبَغِّض صاحبه للآخرين، وقد يُفحَم الخصمُ ويَعجِز عن الجواب ولكنه لا يقتنع، أو يختار أن يسكت بقوة الحجة، ومع ذلك لا يُسلِّم للحق، لأنه أُحرِجَ أو أُهينَ أمام الآخرين، فعلى المحاور ما استطاع إلى ذلك سبيلا أن يتجنب أسلوب الإفحام لأنه قد لا يقود الخصم المعاند إلى الاقتناع، ويترك في نفسه حقدا وغيظا، والمطلوب هو استلال كل بغض وكراهية من قلوب الآخرين إلَّا مَن تجاوز حدود الأدب، فربما وجب معه إحراجه وإسكاته أمام الملأ، وتَبْيِيْنُ وهنِ أفكاره واضطرابِ أقواله[3]، لأن الانشغال ببيان الحقيقة أهم من الانشغال بالسبل التي ترضي المخطئين؛ ولقد جعل الإفحام -كمطلب خطابي- من السوفسطائيين مثلا، معلمي جدال ودفاع، قادرين على أن يُبيِّنوا إلى أي مدى يستطيع الإنسان أن يذهب في الكلام...، وإن كانت أكثر مبادئهم قد أبعدتهم عن المطْلقات المثالية التي كان ينشدها

---

[1]- من أساليب الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، لم يُذْكر صاحبه، أخذناه يوم الثلاثاء، 12- 03- 2018م، على الساعة: 17:15، من موقع http://educislam.over-blog.fr/article.html.

[2]- حصة بنت عبد الرحمان، الحوار الأسري التحديات والمعوقات دراسة وصفية تحليلية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، السعودية،1431هـ- 2010م، ص64.

[3]- ينظر: يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص416.

أفلاطون كما جعلتهم في اختلاف مع الصرامة المنطقية لأرسطو، إلى أن جاء الفكر الحديث والبلاغة الحديثة فأعادا للسفسطائيين الاعتبار واحْتفَّا بميراثهم البلاغي[1].

8- أسلوب الحكيم:

يعتبر هذا الأسلوب من أفضل طرائق الحوار وأهمِّها، ولقد كثر وروده في القرآن الكريم، وكذلك في السنة النبوية، مع تنوع مناسباته، كتصحيح وإرشاد للناس عموما، ولا عجب في ذلك عندما يكون من النبي صلى الله عليه وسلم معلم الثقلين، وأفصح العرب، من أوتي جوامع الكلم، ولا عجب أيضا عندما يكون من الله تعالى، كيف لا وهو منزل من الله؟، وهو القائل عن نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾النساء: 87، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾النساء: 122، ويقصد بأسلوب الحكيم تلقي المخاطب بغير ما يرتقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى[2]؛ ومثاله في سبب نزول قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: 189؛ فقيل لهم عند ذلك: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾بتحرجكم من دخول الباب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ما حرم الله، فإن قيل: ما وجه اتصاله بما قبله؟ يقال: كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة والحكمة في نقصانها -وتمامها معلوم- : أن كل ما يفعله الله عزّ وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده، فدَعُوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها بِرّاً وحُسنا، ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره[3]، ولا يُحتاج في هذا الأسلوب لبيان الخطأ من جهة، وبيان صوابه من جهة أخرى، بل

[1]- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظَرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 1434هـ- 2013م، ص32.

[2]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المكتبة التوفيقية، ط3، القاهرة، مصر، 2015م، ص545.

[3]- يُنظر: أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1433هـ- 2012م، ص121.

الأبلغ فيه أن يأتي مباشرا ويبقى على المحاوَر أن يبحث ويكتشف بنفسه الوجوه البلاغية والفنِّياتِ في ذلك الردِّ، وهذا أدعى لحصول كبيرِ الاقتناع والاطمئنان والقَبولِ في نفسه، بقليل الجهد والكلام.

المطلب الخامس: آليات الإقناع

الإقناع كما عرَّفناه من قبل عبارة عن فعل مؤثر في الرأي أو وجهة النظر إذ يتم عن طريق المناقشات أو التفسيرات ولكي يُحدث هذا التأثير فعله في الآخر ، فإن الاعتماد على المناقشة أو التفسير يعد أسلوبا فاعلا في الإقناع ، وذلك بهدف تغيير رأي الآخر أو وجهات نظره إزاء قضية معينة، كما توجد تعريفات أخرى للاقناع تستهدف بالدرجة الأولى فكر الأفراد وسلوكهم وذلك بهدف إحداث التعديل المطلوب[1].

لقد راحت بعض الدراسات الحجاجية تركز على المقتنع في العملية الإقناعية ، فحسب هذه الدراسات فإنه لا يمكنك أن تقنع أحدا إلا إذا أراد هو الاقتناع ، فلا يمكن أن يقتنع أحد بأي حجة مهما كانت واضحة ومنطقية ما لم يكن طالباً للإقناع وراغبا فيه ، وسبب ذلك أن الإقناع عملية تتكون من شقين:

الأول : المعرفة العقلية : وهذه يسهل توفيرها لمن يراد إقناعه من خلال سرد الأدلة التي يجب أن تكون واضحة وواضحة جداً، وباتباع الطرق السليمة للتفكير يمكن الوصول إلى حجج عقلية منطقية قابلة لأن تؤدي إلى قناعات.[2]

الثاني: القبول القلبي: إن النتيجة المنطقية الناتجة عن التفكير السليم ما لم يستقبلها القلب ويطمئن إليها لا تفيد شيئا، لكن إذا قبلها القلب صارت قناعة وتولد منها الإيمان.

---

[1]- ينظر: خلود بنت محمد السلطاني ، مذكرة ماجستير بعنوان فاعلية الأساليب الإقناعية في بناء الرسالة الصحية التوعوية، إشراف: د. عبد الله بن صالح الحقيل، كلية الدعوة والإعلام، قسم الإعلام، المملكة العربية السعودية، 1431هـ- 2010م، ص11.

[2]- خالد حسين حمدان، الاقتناع (أسسه وأهدافه في ضوء أسلوب القرآن الكريم)، مكتبة شخصين، دط، غزة فلسطين، 2005، ص50.

ونستنتج من ذلك أن الاقتناع هو معرفة الشيء بالعقل ومن ثم قبوله بالقلب، أما المعرفة العقلية دون القبول بالقلب فهي جحود ولذلك قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ النمل: 14، " فهم عرفوا الحق لكن لم تنقد له قلوبهم، لا لضعف الحجة و لا لخفاء الدليل بل لأنهم: لظلمهم وحبهم للعلو، ما أرادوا الاقتناع"[1].

وخلاصة هذا كله أن الإقناع هو عبارة عن قدرة على التأثير في الآخر أو القدرة على استمالة الآخر، وذلك لحمله على الاعتقاد بمعتقد ما أو لحمله على إصدار نمط سلوكي معين، وقد يقضي بطبيعة الحالة، أي يكون المرسل متمتعا بهذه القدرة، لكي يتمكن من إحداث التأثير المطلوب في الجمهور المستهدف برسائله.

ولأن الإقناع هو قدرة التأثير في الآخر ، فهو يستهدف بالدرجة الأساس الجمهور وإحداث تغيير في اتجاهاته أو أدائه أو أسلوبه، ولكي يحدث هذا التغيير، فإن الأمر يقتضي عددا من الحجج أو الأدلة أو الشواهد التي اشتملت عليها الرسالة الاتصالية أو دحضها بصورة كلية[2].

"وتكمن أهمية دراسة الإقناع بصفته هدفا واستراتيجية، في الآن نفسه يستعمل فيه المرسل آليات كثيرة و أدوات لغوية وغير لغوية، ولا بد من الوقوف على هذه الآليات وتلك الأدوات لنرى مدى نجاعتها، وما تثيره عند المرسل إليه، والسبل التي يسلكها المرسل لبلوغ هدفه"[3].

وتنقسم آليات الإقناع إلى آليات بلاغية وأخرى لغوية بالإضافة إلى العلامات غير اللغوية وإذا نظرنا إلى البلاغية منها على أنها من آليات الحجاج فإننا نجدها أكثر الآليات إيضاحا وبيانا في معظم الخطابات لكونها تعمل إلى التأثير في المتلقي واستمالته ومن بين هذه الآليات الاستعارة والكناية والسلم الحجاجي...إلخ، وهذا ما سوف نتطرق إليه بإذن الله.

[1]- خالد حسين حمدان، المرجع نفسه، ص50.

[2]- ينظر: خلود بنت محمد السلطاني، فاعلية الأساليب الإقناعية في بناء الرسالة الصحية التوعوية، ص12.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص455.

الفرع الأول: الآليات البلاغية

أولا: الاستعارة:

أ- لغة: جاء في كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة في مادة: "استعر" "استعر، يستعر، استعارا ويُقال: استعرت النار يعني التهبت واضطربت وتوقدت ويُقال: استعر القتال يعني اشتد واحتدم"[1].

ب- اصطلاحا: "هي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم"[2]؛ فالاستعارة عملية ذهنية، تقوم على علاقة المشابهة بين أمرين نتوصل إلى أحدهما من خلال الآخر، لأغراض بلاغية مختلفة، وتكتسب حجاجها من خلال إحداث التأثير وإقناع المتلقي في سياق معين، فتعرَّف الاستعارة الحجاجية على أنها: تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي[3].

ثانيا: الكناية

أ- لغة: من الفعل كنى تكنية، فهو مُكَنٍّ، والمفعول مُكَنّا، ومثال ذلك قولهم: أكنى الشخص أبا فلان[4].

ب- اصطلاحا: "هي لفظ أُطْلق وأُريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى"[5]؛ وقيل فيها أنها: " أدْخَل في إفادة المعاني من تلك الصرائح الموضوعة، وذلك لأن دلالة هذه الأمور على ما تدل عليه،

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، مصر 2018، ج: 1، ص91.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، ص31.

[3]- ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص459.

[4]- ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 1962.

[5] - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص237.

إنما كان دلالة باللازم والتابع، ولا شك أن الدلالة على الشيء بلازمه أكشَفُ لحاله وأبين لظهوره، وأقوى تمكنا في النفس من غير ما ليس بهذه الصفة"[1].

وأكثر ما يتفق فيه هذان التعريفان هو الدلالة على المعنى الحقيقي أما المعنى المجازي فهو في التعاريف الاصطلاحية أكثر بيانا وإيضاحا خصوصا في الكتب البلاغية.

وتعتبر الكناية من الآليات البلاغية التي لها دور هام في الحجاج، فهي وسيلة برهانية يستعملها المتكلم لإثبات معنى من المعاني...، وهو بهذا التصوير يريد أن يصل إلى مقصده من الخطاب وهو إقناع من يُخاطبه، فينقاد إلى أفكاره وآرائه؛ "وللمجتمع دوره البارز في تحديد مقاصد الخطاب، وقد أصبح هذا الدور حاضرا في خطابات الناس، إذ يشيرون إلى قصدهم بتوظيفها إدراكا منهم أن المرسَل إليه سوف يفهم القصد دون عناء ذهني"[2].

ثالثا: التشبيه

أ- لغة: "اشتبه يشتبه اشتباها، فهو مشتبه والمفعول مشتبَه، يتشبَّه بفلان يعني تمثل به واقتدى به، أي حاكاه"[3].

ب- اصطلاحا: "هو إلحاق أمر بأمر في وصفٍ بأداةٍ لغرضٍ"[4]؛ وهو عنصر هام في العملية الإقناعية، حيث يسهم بشكل كبير في زيادة تقريب المعنى وتوضيحه ومن ثم الزيادة في القوة الحجاجية للخطاب وهو يلي الاستعارة مباشرة في إزالة الغموض ورفع الإبهام وفي درجة التأثير والإقناع، وتفترض علا قة المشابهة أن يكون هناك شيئان: أصل وفرع، ولضبط العلاقة بينهما يحلل الأصل إلى مكوناته أو مقوماته أو صفاته الذاتية والعرضية فيختار بعضا منها لإسقاطه على الفرع، على أن مايسقط يجب أن يكون متفقا عليه بأنه وصْف منضبط[5]؛ والتشبيهات ليست كلها على درجة واحدة في تصنيفها من حيث قوة التصوير والمبالغة، إذ تتفاوت هي بدورها فيما بينها كالاستعارة.

---

[1]- يحي الحسيني العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية ، بيروت، ط1، 1423هـ، ص156.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص412.

[3]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية، ص1098.

[4]- حفني ناصف وآخرون، دروس البلاغة، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1433هـ، 2012م، ص83.

[5]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص410.

رابعا: التمثيل

أ– لغة: "ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزَعة من متعدِّد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك[1]".

ب – اصطلاحا: يضفي التمثيل على الكلام صفة حجاجية وجمالية، ولقد أكد ذلك الجرجاني باعتباره وسيلة حجاجية ذات تأثيرا جيِّد في المتلقي، من جهات عدة، فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصورية العادية إلى الحالة التصديقية، ولأنه بمثابة إحضار المعنى إليه كما هو في الواقع[2].

لذلك اعتُبِر التمثيل رافداً من روافد الحجاج لما يحدثه من تأثير في نفوس المستمعين، وما يؤكد ذلك قول الجرجاني: " إن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت فيه باختصار معرفة، ونقلت عن صورتها الأصلية إلى صورة أخرى غير الصورة الأولى أكساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها .. وضاعف قِواها في تحريك النفوس..."[3]

الفرع الثاني: الآليات اللغوية

"تعد اللغة من أهم آليات الحجاج لما تحمله من أساليب ووسائل إقناعية فاللغة تحمل بصفة جوهرية وظيفة حجاجية في كل ظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية فأغلب الخطابات والحوارات الجارية بين المتخاطبين الغرض منها التأثير والإقناع"[4].

[1]– مصطفى أمين، علي الجارم، البلاغة الواضحة، ص56.
[2]– ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص76.
[3]– الجرجاني، المرجع نفسه، ص102.
[4]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص16.

أولا: ألفاظ التعليل:

"تعد ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه وبناء حججه فيه ومنها: المفعول لأجله وكلمة السبب، إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات إلا تبريرا أو تعليلا لفعله ، بناء على سؤال ملفوظ أو مفترض" [1].

1- لام التعليل:

واحدة من الروابط الحجاجية التي تربط بين الحجة والنتيجة، وعملها أو دورها هو تبرير الحجة وتأكيدها وتقوية المعنى.

2 – المفعول لأجله:

"هو مصدر مبين لسبب حدوث الفعل وتعليله ومشارك لعامله في الوقت والفاعل"[2].

ثانيا: الأفعال اللغوية:

نظرية لسانية تداولية ظهرت مع "أوستين وسيرل" تُثبت أنه: ليس التلفظ بالخطاب فعلا تصويتيا فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلا من الأفعال[3].

1- الاستفهام:

أ- لغة: "استفهم- استفهاما والمفعول مستفهم ويقال استفهم عن الأمر بمعنى بحث عنه"[4].

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص478.

[2]– محمد علي السراج، اللسان في قواعد اللغة والأدب والنحو والبلاغة العروض، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 1403هـ-1989م، ص93.

[3]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص74.

[4]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص195.

ب– اصطلاحا: هو واحد من بين الأساليب البيانية الجيدة التي عُني بها القرآن عناية كبيرة لكونه وسيلة مهمة في إيصال الأفكار والأهداف، وتثبيت المفاهيم الاتجاهات، فهو أسلوب تربوي ناجح في زرع الفكرة أو المعلومة لدى المخاطب بأسلوب فائق لا تعقيد فيه، لأنه أوقع في النفس، وأدَلّ على الإلزام وهو في الحقيقة الاستخبار عن الشيء الذي لا علم لَنا به[1].

ويُعد الاستفهام من أهم أنواع الأفعال اللغوية حجاجا وهو سبيل جديد لتلطيف الجو بين المتحاورين لأنه يقلل الفجوات، ويدل على رحابة الصدر وخلق التواضع والانفتاح، لا الانطواء، حيث يذكر الأستاذ محمد سالم ولد محمد الأمين: أن بيرلمان يرى بأن للموجه الاستفهامي أدوارا حجاجية لا يستهان بها لأن له في نظره أهمية بلاغية كبيرة ، فالسؤال يفترض موضوعا ما، وانطلاقا منه، يتوقع أن ثمة اتفاقا حول وجود هذا الموضوع، كما أن الإجابة على سؤال ما تعنى التأكيد على هذا الاتفاق الضمني، ولكم علمتنا الحوارات السقراطية مدى أهمية وأخطار هذه التقنية الحوارية.[2]

2– الأمر:

أ– لغة: "من أمَر، يأمر، أمرًا، فهو والمفعول: مأمور ومعنى أمر: هو أصدر أمرًا أو أعطى تعليمات لشخص ما"[3].

ب– اصطلاحا: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء وهو صيغة يطلب بها إنشاء فعل في المستقبل، ويتمثل إنجاز الأمر في محاولة دفع المخاطب للقيام بفعل معيَّن[4].

3– النفي: النفي عامل حجاج يحقق به الباثُّ وظيفة حجاجية، المتمثلة في إذعان المستقبِل، وتسليمه عبر توجيه للملفوظ، وقد حصرته اللغة العربية في لغتها في شكل حروف متضمنة لنفي من

[1]– أبو عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآيات والسور، تح: طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، ط1، عمان الأردن، 1430هـ– 2009م، ج: 2، ص36.

[2]– محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الكتاب الجديد، ط1، بيروت لبنان، 2008م، ص177.

[3]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج: 1، ص117.

[4]– ينظر: مصطفى أمين وعلي الجارم، البلاغة الواضحة، ص328.

قبل (لا، لن، لم)، والنفي هو العامل الذي يُحَوِّل القضية الصحيحة إلى قضية خاطئة، والخاطئة غلى صحيحة، لذلك كان "ديكرو" في تحليله يضع مثالين أحدهما منفي والآخر غير منفي، فالمثال المنفي موجه نحو نتيجة سالبة، والمثال غير المنفي يكون موجها نحو نتيجة موجبة[1].

4- صيغ المبالغة:

تصنف صيغ المبالغة ضمن الآليات اللغوية للحجاج، وهي النوع الرابع من الأسماء التي تعمل عمل الفعل وهي خمسة صيغ (فعّال، فعول، مفعال، فِعِّيل، فَعِلٌ)، فلا يقال قتَّال أو ضرّاب لمن قتل أو ضرب مرة واحدة مثلا[2]، "وتدل تلك الصيغ على الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي، بحيث أن المبالغة لا تشتق إلا من الفعل الثلاثي"[3]؛ وتضفي صيغ المبالغة على التعبير قوة وجمالا، وتكمن حجاجيتها في هذه القوة، لأنها صيغة مشتقة، تساعد على تأكيد الأمر وتسديده والإشعار بعظم شأنه بُغية لفت انتباه المخاطَب له، وهذا ما يفسح المجال لقابلية تأثره وإذعانه لأفكار المتكلم[4].

الفرع الثالث: السلم الحجاجي:

نجد "من الباحثين من راح يعرف السلم الحجاجي بأنه: عبارة عن مجموعة من الحجج، التي تنتمي الى فئة حجاجية واحدة ، وتسعى للدفاع عن أطروحة معينة"[5]؛ ويتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، فالمخاطب له الحرية في تقديم الحجج ذات القيمة الإقناعية الكبيرة[6].

---

[1]- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، تونس، 2011م، ص7.

[2]- ينظر: جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان ، 1425هـ-2004م، ص257.

[3]- محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، دط، دب، 2004م، ص68.

[4]- ينظر: عائشة عويسات، تواصليه الأسلوب في رومانسيات أبي الفرس الحمداني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 1431هـ- 2010م، ص61.

[5]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 21.

[6]- ينظر: عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 500 .

قوانين السلم الحجاجي : يخضع السلم الحجاجي لقوانين ثلاثة هي قانون تبديل السلم (قانون النفي) وقانون القلب وقانون الخفض.

1- قانون النفي :

مقتضى هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله ، ولكن قوة النفي تترتب ترتيبا عكسيا، إذ إن نفي ما يقع في أدنى السلم هو نفي أقوى لمدلول الخطاب، ومثال ذلك: أحمد مجتهد، لقد نجح في الامتحان. أحمد ليس مجتهدا، إذا لم ينجح في الامتحان، وإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول ، وجب القبول بالحجاج الوارد في المثال الثاني.

2- قانون القلب:

يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تتميما للقانون الذي سبقه، ومعنى هذا القانون، أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، فهو يعتمد النفي[1]؛ "وبعبارة أخرى فإن هذا القانون يقضي أنه إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيَّن ، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول ، بمعنى أن أحد الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة ، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة"[2].

3- قانون الخفض:

يفيد بأن القولين المتقابلين لا يصدقان في نفس المراتب من السلم ، فكلما صدق أحدهما في مراتب معينة صنف الآخر في المراتب التي تقع تحتها ، ويمكن لهذا القانون أن يكون قانون إعلاء كلما

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 22.

[2]- ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة – دراسة تداولية –، أطروحة دكتوراه إشراف: السعيد بن خراف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009م- 2010م، ص 166.

وقع الارتقاء وبموجب هذا القانون، فالتراتب بين الحجج يمكن أن يعدل ويتغير من خطة إلى أخرى بعوامل معينة، ذلك أن إضافة حجة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن يغير من مدلولها وبالتالي من قوتها، والحجج باعتماد هذا السلم تكون من الحجة الأقوى إلى الحجة الأضعف[1].

[1]– ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبه، ص 154 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تحليل الآليات الإقناعية في قصة مؤمن آل فرعون

لقد حوى هذا الفصل كسابقه جملة من العناصر وهذا بيانها:

تمهيد

وحوى هذا الفصل مبحثين اثنين هما:

المبحث الأول: الآليات اللغوية

وضم عددا من المطالب وهي:

المطلب الأول: التعريف بقصة المؤمن

المطلب الثاني: ألفاظ التعليل

المطلب الثالث: الأفعال اللغوية

المطلب الرابع: الوصف

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

واشتمل على المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الصور البيانية

المطلب الثاني: المحسنات البديعية

في هذا الفصل سنعرض إن شاء الله ونتطرَّق إلى شيء من البيان حول قصة مؤمن فرعون والتي تعدُّ واحدةً من أروع النماذج عن حواراتِ القرآن الكريم، حوارِ أنصار الله الجليل وحزبه مع أنصار الشيطان الرجيم وحزبه، ذلك الحوار الهادئ الفعّال الذي يجعل من الإقناع والتأثير غاية له، كما سوف نَعرضُ إلى التطبيق على آليات الإقناع الموجودة في هذه القصة، اللغوية منها والبلاغية، وُسعنا في ذلك وما استطعنا إليه سبيلا، فأما في المبحث الأول فسوف نتناول بالدراسة الآليات اللغوية؛ وأما في المبحث الثاني فسوف نتطرَّق بإذن الله تعالى إلى التطبيق على الآليات البلاغية التي أسهمت في بناء القصة حجاجيّاً، وجسدت الحوار الإقناعيَّ فيها، على أنه وكالعديد من النماذج التطبيقية، لا يعني تحليلها ودراستها – دائما – الإلمامَ بكل نواحيها اللغوية والبلاغية، فقد تكون المدوَّنة واسعة مطوَّلة، وقد يكون الوقت ضيِّقاً، وقد لا تحتوي المدوَّنة على عيِّنات ونماذج الأصناف والأساليبِ اللغويةِ جميعِها، وهذا الأخير أمر عاديٌّ لطالما أن تلك الأساليب لم تكن غائبة بكثرة؛ ذلك وإن ورودها كلَّها بكثرة هو الآخر، لا يمكن عنده الإلمام والإحاطة بتلك الأساليب إلا إذا توفر حجم من الوقت وقدر من عدد الصفحات كبيران...إلخ، وعن نماذج الحوار الإقناعي المدروسة في هذا الحوار – القصة –، فهي في غالبها جيدة الحضور وفيما يأتي بيان لها:

المطلب الأول: التعريف بقصة مؤمن آل فرعون

لقد برزت في ثنايا قصة موسى عليه السلام وحواره مع فرعون وقومه لأجل إقناعهم بعبادة الله تعالى حلقةٌ جديدة، لم تُعرض في قصة موسى من قبل ألا وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يخفي إيمانه، يصدع بكلمة الحق في تلطف وحذر، ثم في صراحة ووضوح وتنتهي القصة بهلاك فرعون الكافر بالله بالغرق في البحر مع أعوانه وأنصاره، وبنجاة موسى والداعية المؤمن وسائر المؤمنين[1].

الفرع الأول: سبب تسمية السورة

الحديث عن السورة بذكر سبب تسميتها هدفه خدمة البحث في بعض حيثيات الحوار في قصة المؤمن هاته التي حوتها هذه السورة، فإن بينهما – وككل أجزاء القرآن ومواضيعه وآيِه – تناسباً وتعالُقا ليس يُدرَى إلا إذا تُحُدِّث عن سبب تسمية السورة بأكملها، وفي السبب يقول الإمام الصابوني: "سميت هذه السورة سورةَ غافر لأن الله تعالى ذكر في مطلعها هذا الوصف الجليل الذي هو من صفاته الحسنى ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ غافر: 3، وكرَّر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن: ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢﴾ غافر: 42، وتسمى سورة المؤمن لذكر قصة مؤمن آل فرعون"[2]؛ وقال الإمام الطاهر بن عاشور: "وبذلك ترجمها البخاري في صحيحه، والترمذي في الجامع، ووجه التسمية أنها ذكرت فيها قصة مؤمن آل فرعون، ولم تذكر في سورة أخرى بوجه صريح... وتسمى أيضا _سورة الطول_، لقوله تعالى في أولها: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ غافر: 3؛ وقد تُنوسِي هذا الاسم، واشتُهِرت في مصاحف المغرب بسورة "غافر"[3]، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعَطَاءٍ وَعِكْرِمَةَ وَجَابِرٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ غافر: 55، لِأَنَّ الصَّلَوَاتِ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْهَا نَزَلَتَا بِالْمَدِينَةِ وَهُمَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ غافر: 56 والتي بعدها[4]؛ وَهَذِهِ السُّورَةُ جُعِلَتِ السِّتِّينَ فِي عِدَادِ تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزُّمَرِ وَقَبْلَ سُورَةِ

[1] – ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، 1420هـ، 2000م، ج: 3، ص92

[2] – الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 3، ص93.

[3] – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، دط، تونس، دت، ج: 9، ص95.

[4] – أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ط2، القاهرة، 1384هـ – 1964م، ج: 15، ص 288.

فُصِّلَتْ وَهِيَ أَوَّلُ سُوَرِ (آلِ حم) نُزُولًا وَقَدْ عُدَّتْ آيُهَا أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ مَكَّةَ، وَخَمْسًا وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ، وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ"[1].

الفرع الثاني: أغراضها

تعالج هذه السورة قضية الحق والباطل-قضية الإيمان والكفر-، قضية الدعوة والتكذيب، وأخيرا قضية العلوّ في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين؛ وجوُّ السورة كله- من ثم كأنه جو معركة -، وهي المعركة بين الحق والباطل[2]؛ وقد تضمنت السورة أصول الدعوة إلى الإيمان، وأودعها الله تعالى من صفاته العُلى ما فيه تعريض بدعوة المشركين إلى الإقلاع عمَّا هم فيه، وبيان أن جدال المشركين عناد وكفر، وقد تكرر ذكر المجادِلِين في السورة خمس مرات، وذكرُ موعظة مؤمن آل فرعون، وأنها تُشْبِه موعظة النبي ﷺ، والتنبيهُ على دلائل تفرد الله بالإلاهية إجمالا، وإبطال عبادة غير الله، والتذكير بنعم الله على الناس ليشكروها والاستدلال على إمكان البعث، وتثبيتٌ لرسول الله ﷺ بتحقيق نصر هذا الدين في حياته وبعد ومماته[3].

الفرع الثالث: فضلها

القرآن كلُّه كتاب هداية وشفاء، والحديث عن فضائل بعض السور دون بعض لا يقتضي نفي الفضل عن غيرها فكل من عند ربنا، ولقد وردت عن رسول الله ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ تبين فضل السور الكريمة التي تسمى بالحواميم، ومنها ما جاء عن الإمام التِّرمذيِّ رحمه الله تعالى ورضي عنه أنه قال: " قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حم المُؤْمِنَ إلى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** غافر: 3، **وآيَةَ الكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ**»"4؛ "وعن يزيد بن

---

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص75.

[2]- يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، الشروق، ط38، القاهرة، 1430هـ- 2009م، ج: 5، ص3065.

[3]- يُنظر: أحمد بن خليل شاهين، المفتاح لأهل القرآن مما لا يسع حامل القرآن جهله من علوم القرآن، دد، دط، دب، 1432هـ، ص94.

[4]- رواه الإمام الترمذي في سننه، تح: أحمد محمد شاكر، وآخران، (أبواب: فضائل القرآن، باب ماجاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي)، الحديث رقم:2879، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، دط، مصر، 1395 هـ - 1975 م، ج: 5، ص157.

الأصم: أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يوفد إلى عمر لبأسه، وكان من أهل الشام، وإن عمر فقده فسأل عنه، فقيل: "يتابع في هذا الشراب"، فدعا كاتبه، فقال: اكتب: "من عمر إلى فلان بن فلان، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليك الذي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾غافر: 3، ثم دعا وأمَّنَ مَن عنده، ودعَوا له أن يُقبل لله عزَّ وجلَّ بقلبه، وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفةُ الرجلَ جعل يقرأها ويقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾غافر: 3 ، قد وعدني الله عز وجل أن يغفر لي، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾غافر: 3، قد حذَّرني الله من عقابه: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾غافر: 3 ، والطول: الخير الكثير ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾غافر: 3، فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع، فأحسن النزْع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه خبره، قال: "هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زَلَّ زَلَّة فسدِّدوه، ووفقوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه"[1]، والقرآن الكريم كلُّه معجز مبارك متعبَّد به، ومن ذلك هذه السورة الكريمة ذات الاسم العظيم الذي ما من عبد مؤمن إلا وسأل به اللهَ المغفرة لذنوبه والتجاوز عنها.

الفرع الرابع: التعريف بمؤمن آل فرعون

الأصل في البحث عن المناحي الخارجية أو الجانبية في قصص القرآن الكريم أنه غيرُ ذي نفعٍ كبيرٍ، كأن يتكلَّف الإنسان التَّحرِّيَ في معرفة أسماء وأنساب وأوطان وأعمار الماضين ممن قَصَّ علينا القرآن قَصصَهم، ولو كان مفيداً إفادةَ الآياتِ التي أنزلها الله تعالى إلينا أنفُسها لأطْلعنا الله علَّامُ الغيوبِ على تلك التفاصيل وأكثرَ، فبقي فُضولُ الناس هو الدَّافعُ إلى معرفة هذه الأمور، ولأنها من مزاعم البشر لا من نصوص الوحي في عمومها فهي في الغالب محلُّ اختلاف بينهم، وفي بيان شيء من قَبيل هذا الاختلاف يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: "الْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ كَانَ قِبْطِيًّا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ ابْنَ عَمِّ فِرْعَوْنَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي نَجَا مَعَ مُوسَى، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَرَدَّ قَوْلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا؛ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ انْفَعَلَ لِكَلَامِهِ وَاسْتَمَعَهُ، وَكَفَّ عَنْ قَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَوْ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا لَأَوْشَكَ أَنْ يُعَاجَلَ بِالْعُقُوبَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ، وَقَالَ ابْنُ جُرَيج عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ سِوَى هَذَا الرَّجُلِ وَامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَالَّذِي قَالَ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ

[1]– يوسف ابن المبرّد الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ- 2000م، ج: 2، ص553.

﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ الْقَصَصِ: 20"[1]؛ وقد اختار الإمامُ الطاهرُ بنُ عاشور أن يكون قبطيّاً، فقال: " وَوَصْفُهُ بِأَنَّهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ مِنَ الْقِبْطِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ خِلَافًا لِبَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى بَعْدَهُ: ﴿يَقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ غافر: 29، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُلْكٌ هُنَالِكَ؛ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ قَرَابَةِ فِرْعَوْنَ وَخَاصَّتِهِ لِمَا يَقْتَضِيهِ لَفْظُ آلِ مِنْ ذَلِكَ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا"[2]؛ ومزيد التفصيل في التعريف بهذا الرجل في هذا الموضوع استباق لمناسَبته، واستباق لموضعه المناسب، فإن الحديث عن قصته كاملة مفرَّق بحسب توظيفنا لآليات الإقناع فيما يأتي من التطبيق، وفي إيراد قصَّته في هذا الموضع أوَّلاً عدمُ تريب، ووقوع في التكرار، وذلك هو الفساد في التوظيف.

المطلب الثاني: ألفاظ التعليل

الفرع الأول: لام التعليل

الشاهد في القصة: لم ترد في هذه القصة لام التعليل إلا في موضع واحد وهو الآتي ذكره:

قال الله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ غافر: 42، فالرابط الحجاجي في هذه الآية: هو لام التعليل، أي محاورتكم لي لأجل إقناعي بنتيجة وغاية وعلة فاسدة هي أن أكفر مِثلَكم، فيُظهر هذا الأسلوب البارع مدى إنكار مؤمن آل فرعون لعملِ قومِه وموقفِهم المخزي حيال نبيهم عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى إنكاره سعيَهم لإضلاله بثنيه عن عزمه وهو نصرة الحق ومؤازرة نبي الله موسى عليه السلام، وذلك من خلال الذي تقدَّم قبلُ من الأسلوب الإنشائي بصيغة الاستفهام والذي كان غرضه الإنكار كغرض هذه الآية:-42-، فقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾غافر: 41، إجمال لما أنكره عليه عندما استفهم عن سبب مقابَلتِهم جميلَهُ إليهم بالإساءة، ثم جاءت الآية التي ذكرنا من قبل-42- تفصيلا للذي أنكره عليهم من أمرهم، فحملت من الغرض كالذي حملته الآية:41، - السابقة-، وإن لم يتكرر الاستفهام، ومن خلال ذكره لألفاظ أو أوصاف حسنة تتعلق بالله عزّ وجلّ

[1] -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، دط، دب، 1420هـ - 1999 م، ج: 7، ص140.

[2] - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص126 .

حيث وصفه بالعزَّة وهي لله جميعُها وبالمغفرة للذنوب في الدارين وهو مقام لا يبلغه أحد غيره، ومن جهة أخرى فقد أبدى جهله أو تجاهله لمعبوداتهم من دون الله، فنفى عن نفسه العلم بها وفي هذا ازدراء لها واحتقار، وهو إذْ يُقلِّلُ من شأنها فإنه يعظِّمُ الله ضمنا فهذا الذي يُستشفّ ويُفهم، ومن جهة ثانية فإنه لما وصف الله بما هو أهل له فقد نفى عن غيره ضمنا أن يُضاهي الله في عُلوِّه وعظمته، فلا يجتمع مع الله أبدا مكافئ له بل ولا كفؤ له، فهو أسلوب مخالفة بديع، ويقول الإمام الطبري رحمه الله في معنى هذه الآية: أي "لأشرك بالله في عبادته أوثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل"[1]؛ والحجة في خطابهم ودعوتهم هذه والتي أوضحها قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ غافر: 42، وكان الرابط الحجاجي فيها هو لام التعليل، هي ادِّعاؤهم أنَّ موسى ليس على شيء وأنَّ ما جاء به إنما هو من قَبيل السحر والتمويه كالسحر الذي يُمارسه بنو إسرائيل، ويفترون على الله الكذب أنه لا وجود له، وأن فرعون هو ربهم الأعلى، من أجل بلوغ نتيجة هي إقناع هذا الرجل المؤمن وإيهامه أن دعوة موسى باطلة، وما يعبده فرعون وقومه هو الحق، ولكي يُثبتوه على دينهم، وليتمكنوا من الكيد لموسى عليه السلام بقتله.

الفرع الثاني: المفعول لأجل

شواهد المفعول لأجله في هذه القصة:

الشاهد الأول: قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾غافر: 28، "الهمزة للاستفهام الإنكاري وتقتلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ورجلا مفعول به وأنْ وما في حَيِّزِها في محل نصب مفعول لأجله أي لأجل هذا القول، من غير روية وتَدبُّر وتأمُّل"[2]؛ والمعنى في: ﴿أَن يَقُولَ﴾، هو "لأجل أو

[1]- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، دب، 1420هـ- 2000م، ج: 21، ص391.

[2]- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4، حمص، سورية، 1415هـ، ج: 8، ص479.

بسبب أن يقولَ"، وبتعبير آخر تعليلُكم ومبرِّرُكم أو حُجَّتُكم للإقناع بقتله هي أنه يقولُ ربي الله وأنتم تقولون أربابنا الأصنام التي نَنحتها، فمن أجل ذلك كانت النتيجة الوخيمة والجريمة الفظيعة وهي السعي لقتْلِه، مع أنه قد جاء كم بالآيات الباهرة الدّالة على صدقه، فحُجَّتُكم واهية؛ وإنكارُه عليهم ظاهرٌ بدءً بالاستفهام في ﴿أَتَقْتُلُونَ﴾ وإلاَّ ما كان ليستفهم هذا الاستفهام، وظاهِرٌ أيضا من خلال استعماله لأداة إخبار وتوكيد وتحقيق هي﴿وَقَدْ﴾ التي أظهر بها اعتقاده وأثبت وأكَّد ما وليَها من حديث وهو قوله: ﴿جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ، فهو يؤمِن بكونها بيِّناتٍ ومعجزات ظاهرة واضحة، ولم يقل مثلا: باليد والعصا دون الإشارة إلى أنها آيات بيِّنات وخوارق، ولم يقل: ظهر عليكم أو ما أشبه بل قال: ﴿جَآءَكُمْ﴾ ، فدلَّت على كونه أُرسل من ربه وما كانت دعوته اختلاقا من نفسه ولا كانت بدعا من القول، وهو إذ يقول:﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ ، يُصدِّقُ بحججه ما قاله لهم موسى من أن الله أرسله إلى فرعون وملإه، ويُثْبت من جهة أخرى أعظم غاية في الرسالة وهو كون الله ربّاً بالفعل، وهم ينكرونها، فلم يقل لهم: من ربه، أو من ربه الذي يدَّعي، ولم يقل لهم قولا يظهر الكفر بالله كالذي كان من أمر فرعون الكافر بالله فـ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ طه: 49، و﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: 23، بل لقد قال فرعونُ قولة نكراء ما مثلها في خبثها قولة: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ النازعات: 24.

الشاهد الثاني: في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ غافر: 26، وتعليلُ فرعونَ إرادتَه قتلَ موسى عليه السلام في هذا الخطاب الشَّفَقة، لكن أيَّةُ شفقة، وعلى من؟ إنها الذعر والهلع الشديد على نفسه من زوال ملكه ببعثة نبي الله موسى عليه السلام، لا على قومه كما تظاهر بذلك لهم، فكأنه قال لهم لأجل أني أو لأني أخاف...، وهو يتحيل لقتله لأن أهل بلاطِهِ من وُزرائه ومستشاريه لم يكونوا جميعهم على رأيه فأراد كسبَهُم وضمه لصفِّه، ليتأيد بهم ويأمن اعتراض غيرِهِ عليهِ.

ومما تَقدَّم تبيَّن أن للمفعول لأجله أهمِّيَّةً كبيرةً في تقوية الحجج وتثبيتها، من جهة كونه تعليلا وأداةَ إقناعٍ لما يسبقه من كلام، ونفس المخاطَب دوما تتطلع إلى التبرير المقبول لتطمئنَّ به وتقتنعَ، وتصدِّق بما تَسمع أو تقرأ.

المطلب الثالث: الأفعال اللغوية

الفرع الأول: الاستفهام

لقد وردت هذه الصيغة اللغوية في حوار الرجل المؤمن مع قومه ثلاث مرات تقريبا، لتؤدي دورها الهام في إجراء العملية التواصلية، وفيما يأتي إيراد لهذه الشواهد من الاستفهام:

النموذج الأول: أوَّل استفهام في هذ الحوار هو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾غافر: 28، وفيه "يقول الرجل المؤمن: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فأن في موضع نصب لما وصفت، ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك، وتلك البيّنات من الآيات يدهُ وعصاهُ، كما جاء في حديث ابن إسحاق: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بعصاه وبيده"[1]؛ وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾البروج: 8، أي لأجل أنهم يدْعون لوحدانية الله عز وجل! ، وقد جاء استفهام الرجل المؤمن إنكاريا في هذا الخطاب، فكان سؤاله لهم عن السبب المنطقي والمقنع الذي يدفعهم لقتل نبيهم موسى عليه السلام الذي جاءهم بدين الحق وهو المنهج الذي وضعه الله لعباده لتنتظم به أمور دينهم ودنياهم، وبقوله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ غافر: 28، عنى على الرغم، أو مع أنه، أو وإن كان، أو حتَّى وإن كان قد جاءكم بالحُجج والدلائل الواضحة المثبِتة لكونه نبيّاً، والسياقُ الذي يسبق هذه الآية والذي يليها من حجاج كقولِه: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ غافر: 28، كل ذلك خادم لهذا الاستفهام، وهو دليلُ كوْنِه ينكر عليهم صدودهم، ويتعجَّب من شدَّة صدفهم، وأنه يحاورهم ويدعوهم لأجل إقناعهم بالإيمان بموسى كيفما كان أمره ما

[1] – أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: 21، ص376.

دام قد جاءهم بأمور معجزة وبما في صلاحهم ونجاتهم من مثل الذي حذَّرهم منه مراراً، وهو تدمير الله على القرى التي كذبت من قبل.

النموذج الثاني: (الاستفهام بمَن): قال الله تعالى: ﴿**يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ**﴾ غافر: 29، فكانت حجته على قومه في حواره لأجل إقناعهم هي أن الله تعالى جمع لهم أسباب الخير وأكرمهم ونعَّمهم وجعلهم ملوكا كما دلت على ذلك هذه الآية والآية التي في المائدة، لكنهم مع ذلك يكفرون بالله ويمكرون بنبيه لقتله، والأولى أن يستجيبوا لله ولرسوله موسى عليه السلام، لكنهم يكفرون به فيوشك أن تكون نتيجة ذلك هي نزول بأس الله بساحتهم، كما وعدهم به وخوَّفهم الرجل المؤمن إن هم كذَّبوا واستكبروا، ويَظهر من هذا الأسلوب أن وليَّ الله يُشفق عليهم ويخاف من حلول عذاب الله بهم لقاء كفرانهم وجحودهم نعمه عليهم، وهو إذْ يخاطبهم بهذا الأسلوب الإنشائي الطلبي الذي جاء بصيغة الاستفهام لا ينتظر منهم جواباً لأنه سهل واضح، وإنما لإظهار الإنكار عليهم وقد ذكَّرهم بإنعام الله عليهم، وأنه ومعنى الآية: "قَدْ عَلَوْتُمُ النَّاسَ وَقَهَرْتُمُوهُمْ، فَلَا تُفْسِدُوا أَمْرَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِبَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَإِنَّهُ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، وإنما قال: يَنْصُرُنا —وجاء – لِأَنَّهُ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَأَنَّ الَّذِي يَنْصَحُهُمْ بِهِ هُوَ مُشَارِكٌ لَهُمْ فِيهِ"[1]؛ وذلك ظاهر من استعماله ضمير الجماعة من المتكلمين في كلمة: ﴿**يَنصُرُنَا**﴾، ولم يستعمل ضمير جماعة المخاطَبين ليكون عائدا على فرعون وملإه وحدهم دون الرجل المؤمن كأن يقول: فمن ينصركم، فعندها يتفطنون إلى أنه آمن بموسى عليه السلام فلا يسمعون له ولا يقتنعون بمحاورته، بل يقتلونه، ولم يكتف الرجل المؤمن بمجرد تذكيرهم بما هم فيه من نِعم فحسب إنما ذكَّرهم بما يستوجبه ذلك الإنعام من شكر لله وطاعات وقربات وإحسان وخوَّفهم من بأس الله فسألهم هل قدَّمتم لأنفسكم شيئا تدفعون به غضب الله وبأسه، وهو لا ينتظر منهم جوابا إنما ينكر عليهم صنيعهم وهو يعلم من حالهم أنهم ليسو على شيء، وذلك أدعى لإقناعهم وهو دليل فطنة ذلك الرجل، وأسلوب الاستفهام التقريعي بغرض الإقناع كثير في القرآن الكريم، فكأنه يقول لهم: أليس الله قد جعلكم ملوكا

[1]– أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1420هـ، ج: 27، ص511.

وأمدكم بصنوف النِّعم وألوانها؟ وإذا كان ذلك كذلك فما بالكم تُشاقُّونه وتحادُّونه ورسولَه، فإن عذابه إذا نزل بكم لا ينصركم منه أحد أو يدفعه.

النموذج الثالث: (الاستفهام بما التي للاستفهام): في قوله تعالى: ﴿**وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾**﴾ غافر: 41، "وهذا كلُّه من قول مؤمن آل فرعون، يقوله لقومه على جهة الاحتجاج عليهم، ويلزمهم الحجة به، "والمعنى أنكم تدعونني لأكفر بالله وأشرك به من غير علم لي بصحة قولكم، وأنا أدعوكم إلى الله وإلى ما أُوَضِّحُهُ بالبرهان، وأقيمُ عليه البيان"[1]؛ "وَبَدَأَ أَوَّلًا بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ، وهو الاستفهامُ الْمُتَضَمِّنُ التَّعَجُّبَ مِنْ حَالَتِهِمْ، وَخَتَمَ أَيْضًا بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي تَوْكِيدِ الْأَخْبَارِ، وَجَاءَ فِي حَقِّهِمْ: وَتَدْعُونَنِي بِالْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي لَا تَقْتَضِي تَوْكِيدًا، إِذْ دَعْوَتُهُمْ بَاطِلَةٌ لَا ثُبُوتَ لها، فتؤكَّد"[2]؛ ومن عظيم تأدبه في المحاورة فقد وجَّه الاستفهام لنفسه لا لهم فقال: ﴿**مَا لِيٓ**﴾، وهذا موافق لقاعدة التأدب، ولم يقل مثلا: "ويلكم أو ويحكم ما لكم..."، وذلك الأسلوب في الخطاب غاية في التأدب، وإنما تنازل عن حقِّ نفسه الشريفة المؤمنة لقاء اقتناعهم بدعوته، وذلك من بليغ الكلام وحسنه، فجاء كلامه بضمير المتكلم المفرد فوجه السؤال لنفسه في قوله: ﴿**مَا لِيٓ**﴾، وإن كانوا هم المقصودون به من خلال السياق، وهو أفضل أسلوب للحوار أن يُلِين المحاوِر جانبه إلى من يبغي إقناعهم وتغيير سلوكهم، وحجته على قومه من خلال هذا الاستفهام الإنكاري أنَّه يريد لهم الفوز بالجنة والنجاة من النار باتباع موسى عليه السلام وعدمِ قتله، وهو في حواره معهم لا ينتظر جوابهم على سبب غِيِّهِم وفسادهم بقدر ما هو يهدف من خلال استفهامه إلى إقامة الحجة عليهم لعلهم يقتنعون ويذعنون لدعوة الحق، لكن النتيجة والجزاء الذي تلقَّاه هو منهم هو جزاء سنمَّار وهو كونُهم يدْعونه ويُعرِّضونه للنار ولغضب الله بمحاولتهم إشراكه معهم في عبادة الأوثان وقتْلِ موسى في

[1]- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر، دت، ج: 3، ص307.

[2]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، دط، بيروت، 1420هـ، ج: 5، ص127.

غير خوف من الله أو ازدجار واتِّعاظ بأحوال الأقوام الذين ناصَبوا أنبياءه من قبْلُ العداءَ فأخذهم عذابه وبأسُه.

الفرع الثاني: الأمر

لقد وردت هذه الصيغة اللغوية الإنشائية في قصة مؤمن آل فرعون ستَّ مراتٍ تقريباً بأغراض متنوِّعة كالآتي:

النموذج الأوَّلُ: لهذه الصيغة في هذه القصة هو قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ** ﴾ غافر25، وفيه فعلَا أمر، فأما الأول فهو الفعل: ﴿**ٱقْتُلُوٓا۟ ﴿٢٥﴾**﴾، وأما الثاني فهو الفعل: ﴿**وَٱسْتَحْيُوا۟**﴾ "فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا وهو الوحي والرسالة، قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أي: صبيانهم الذكور، وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ للخدمة، وكان فرعون قد كفَّ عن قتل الولدان لئلا تعطل خدمته، فلما بُعث عليه السلام، وأحسَّ بأنه قد وقع ما تَوقع، أعاده عليهم غيظاً، وحُمقاً، وزعماً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته، وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ أي: في ضياع وبطلان"[1]، وفي ابتداء هذه الآية بـ: ﴿ **فَلَمَّا** ﴾دليل على كون ما يُستقبل من الكلام بعدها نتيجة لحوار طويل تقدَّم قبلها، وقد كانت حجة فرعون التي أراد أن يُقنع بها قومه في هذين الإيعازَين من قتلِ الولدان والإبقاء على النساء لأجل الخدمة متمثلة في تخوفه من أن يزول مُلكه على يد أحد أبناء قومه كما حذَّره من ذلك سحرتُه وكُهَّانُه، وقد تأخَّر ذكر هذا التبرير والتعليل لأمر القتل وهو الأصل في الحجة أن تلي الأمر، ومن اللطائف أن فرعون كان يوجِّه أوامره على جهة القوة والاستعلاء التامَّيْن، لكنه هذه المرة نزل إلى أسلوب اللين والالتماس مع أنَّه زعم لنفسه أنه ربهم الأعلى وما كان يكفُّه إلا الخوف والفزع، فجاء قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾** ﴾ غافر: 26 "[2].

---

[1]– أبو العباس أحمد الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: د. حسن عباس زكي، دط، القاهرة، 1419هـ، ج: 5، ص127.

[2]– ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفسير، ج: 3، ص100.

النموذج الثاني: هو الآية: 26 هاته التي قدَّمنا ذكرها وقد وردت صيغة الأمر فيها بفعلين اثنين، فأما الفعل الأول فهو: ﴿ذَرُونِيٓ﴾، وما قيل عمَّا قبلها من صيغة الأمر يقال عنها هي بدورها، فالحجة خوف فرعون من زوال ملكه، وهي تعليل منه لطلب رأيهم في قتل موسى عليه السلام، ونتيجة هذه الحجج منه على سبيل الإقناع هي السعي بالكيد لموسى عليه السلام والتآمر عليه لِقتْله، ومعنى الآية الكريمة: "خَلُّوا بيني وبين قتله، ولْيدْع ربه أن ينجيه مني إن استطاع ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ بما أتاكم به، ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ أي: أخاف هذين الأمرين، ومن قَرأه: " أو "، فمعناه: أخاف أحد هذين الأمرين، وقيل: إنَّ " أو " بمعنى الواو"[1]؛ وقُرِأت بالواو، أي: ﴿وَأَن يُظْهِرَ﴾ وأما الثاني فهو الفعل ﴿وَلْيَدْعُ﴾ وحجة فرعون فيه هي أنه على حدِّ ادِّعائه وزعمه متيقِّنٌ واثقٌ من بُطلان كلام موسى، فلذلك كانت هذه النتيجة وهي السعي لقتله، وكل ذلك اختلاق من فرعون وهو يعلم صدق موسى، ويعلم نبوَّته عليه السلام، قال الإمام ابن كثير مخبِراً عن حال فرعون وهو جحوده نبوةَ موسى وصدقَ دعواه في ما حاورهم بشأنه من عبادةِ الله: "فإنه قد كان يتحقق في باطنه وفي نفسه أن هذا الذي جاء به موسى من عند الله لا محالة وإنما كان يُظهر خلافه بغيا وعدوانا وعتوّاً وكفراناً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ الإسراء: 102"[2]، لكنه لم يشأ أن يظهره لقومه خوفا منه على ملكه، وقد نسي أن الإسلام مع موسى يحفظ له كل ذلك ويُرَشِّدُ استعماله، ولو أظهر خوفه منه لما اقتنعوا بجدوى قتْلِه.

النموذج الثالث: هو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ غافر: 36، "وفيه أربعة أقاويل: أحدها: يعني مجلساً، قاله الحسن، الثاني: قصراً، قاله السُّدِّيُّ، الثالث: أنه الآجرُ

[1] – أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، دب، 1429هـ- 2008م، ج: 10، ص6420.

[2] – ابن كثير، قصص القرآن، تح: أحمد بن شعبان، دار البشير، الشارقة، الإمارات، دار عباد الرحمان، ط1، القاهرة، مصر،1434هـ- 2013م، ص246.

ومعناه أوقد لي على الطين حتى يصير آجُراً ، قاله سعيد بن جبير، الرابع: أنه البناء المبني بالآجر، وكانوا يكرهون أن يبنوا بالآجر ويجعلوه في القبر ، قاله إبراهيم، ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: ما يسبِّبُ إلى فعل مرادي، الثاني: ما أتَوصَّل به إلى علم ما غاب عني ، ثم بين مراده فقال: ﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طُرقها أو أبوابها أو ما بينها"[1]؛ والحُجَّة في هذا الحوار هي ادِّعاؤه محاولةَ التَّطلعِ والنَّظرِ إلى الله سبحانه- وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً -، وما تعلَّل به من الخوف والإشفاق عليهم بتبديل موسى لدينهم؛ والنتيجة هي أمرُه وزيره هامان ببناء الصرح، والأمرُ في هذه الآية كان على وجه الاستعلاء من فرعون، وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يُسَخَّرون في ضرب اللبِن، وكان ممَّا حمَلوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعَدون على شيء ممَّا يحتاجون إليه فيه بل كانوا هم الذين يَجمَعون ترابَه وتِبنَهُ وماءه ويُطلب منهم كلَّ يوم قسط معيَّن وإن لم يفعلوه ضُرِبوا وأهينوا غاية الإهانة، ولهذا قالوا لموسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾ الأعراف: 129[2].

النموذج الرابع: في قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾ غافر: 38، هنا "كشف الرجل المؤمن عن حاله، وأعلن ما كان يخفيه من إيمانه، وخرج عن سلطان فرعون، وانطلق يلقى الناس مواجَهةً بالدِّين الذي دان به، ويُحاجّهم بمنطق الحق الذي استقام عليه، وهذه المقولات التي يقولها الرجل المؤمن،كانت خارج هذا المجلس الذي ضمه وفرعونَ والملأَ من قبلُ، إنه امتداد إلى خارج هذا المجلس، حيث يلقاه الناس فى كل مجتمع ونادٍ"[3]؛ والحجة التي علَّل بها الرجل المؤمن كلامه في هذه الآية وهو يحاور قومه أنه ناصح أمين لهم وأنهم إن اقتنعوا بحججه واتَّبعوه وآمنوا معه بموسى عليه السلام، كانت النتيجة أن يهديهم طريق الفلاح والرشاد في الدَّارين، وإن هم أعرضوا عن دعوته، وناصَبوا نبيَّهم العداء وتحاملوا على قتله حاق بهم سوء عملهم، وأُخِذوا بمكرهم.

---

[1]- أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان،ج: 5، ص156.

[2] - ابن كثير، قصص القرآن، ص249.

[3]- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، دت، ج: 2، ص237.

الفرع الثالث: النفي

لقد كان النفي أكثر الصيغ اللغوية عموماً حضورا في هذه القصة، ولعل السر في ذلك هو كون القضيةِ موضوع الحوار تسري على طرفي نقيض، والاختلاف فيها بالِغٌ منتهاه، وكل طرف يحاول فيها تثبيت رأيه ودحض ما عند الآخر، فوجود أحد هذين الرأيين يقتضي انتفاء الآخر جملة وتفصيلا، وإن كان أسلوب الرجل المؤمن فيها متأدِّباً للغاية، اعتمد فيه الحوار الهادئ بغرض إقناع فرعون وتصحيح سلوكه، والحق أن إطالة الحديث في أي أمر يفوِّت على الإنسان الحديث عن أمور أخرى ربَّما كانت أهَمَّ وكانت دراستها أجدى، وفيما يأتي إيراد لنماذج منه:

النموذج الأول: في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ** ﴿٢٧﴾﴾ غافر: 27، "قرأ أبو عمر، وحمزة، والكسائي بِإِدْغَامِ الذَّالِ، وقَرأ الباقون بِالْإِظْهَارِ، لَمَّا هَدَّدَهُ فرعون بالقتل استعاذ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ متعظِّم عن الإيمان بِاللَّهِ غَيْرِ مؤمن بالبعث والنشور، ويدخل فرعون في هذا العموم دُخُولًا أَوَّلِيًّا"[1]؛ وقد ورد فعل الاستعاذة مبنيًّا على صيغة الزمن الماضي في هذه الكلمات من حوار الرجل المؤمن مع قومه، ليُفيد تعميم هذا الحكم على كلِّ الزمنِ ماضيه وحاضره ومستقبله، دون الاقتصار على الماضي فقط: ﴿**كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ** ﴾ الممتحنة: 4، ودلالة هذا الفعل متواصلة ومتزايدة إلى يوم الدِّينِ، يوم يفرح المؤمنون بما أعدَّ الله للكافرين الذذين آذَوهم ورسلَهم وربَّهم سبحانه، يومها يتلذَّذُون بعذاب المتكبرين، فكانت حجة موسى في تعوُّذه واستنصاره بربه في دعائه هذا، أنَّ الذين دعا عليهم متكبِّرون عُتاةٌ لا يقتنعون بأسلوب الحوار الهادئ والسلمي ولا يؤمنون بيوم المعاد، وأنهم كادوا له ومكروا به ليقتلوه من أجل أنه حاورهم في شأن عبادة الله ، فلذلك كانت النتيجةُ التحوّلُ إلى أسلوب ثان وهو الترهيب فاستعاذ بربِّه وسأله الأيدَ والنصرَ على من كانت صفته التكبُّرُ على الله سبحانه الذي لا يَغفرُ أبداً أن يُنازَع في هذه الصفة الجليلة، فكان موسى عليه السلام واثقاً من إجابة الله دعاءه لما كان عليه من قوَّةٍ

[1]– محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، دمشق، بيروت، 1414هـ، ج: 4، ص560.

وصدقٍ في حُجَّتِهِ التي ارتكز عليها في حواره فرعون أوَّلا، ثمَّ في دعائِهِ ربَّهُ إهلاكَ كلِّ متكبرٍ آخِراً، أي كنتيجة ومرحلة نهائية.

النموذج الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾﴾غافر: 28، "فهذا احتجاج آخر ذو وجهين، أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات، وثانيهما إن كان كذلك خذله الله تعالى وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعله أراد به المعنى الأول وأوهمهم أنه أراد الثاني لتلين شكيمتهم وعرض لفرعون بأنه مسرف أي في القتل والفساد كذاب في ادعاء الربوبية لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب ومنهاج النجاة، فالجملة مستأنفة متعلقة معنًى بالشرطية الأولى أو بالثانية أو بهما"[1]؛ والحجة التي أراد الله تعالى إقناعنا بها في هذه الآية الكريمة من حواره مع قومه هي أن الهداية – الاقتناع – تكون فقط للمتقين، أمَّا من كان مسرفا كذابا فنتيجته وجزاؤه هي الحرمان من هدايته عزَّ وجلَّ وذلك بمقتضى عدل الله وحكمته ولا يُظلَم عند الله تعالى أحد.

النموذج الثالث: قول الله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾غافر: 29، أي: "ما أُرِيكُمْ من الرأي والنصيحة إِلَّا ما أَرى لنفسي، وقال الضحاك: ما أُعلمكم إلّا ما أعلم، نظيرُه بِما أَراكَ اللَّهُ"[2]؛ وقد تَمثل النفي الأول في خطاب فرعون لآله وملإه، في تَظاهره بأنه لا يشير على قومه من الرأي إلا بالذي يراه هو لنفسه عسى أن يقنعهم بضرورة الانتقام من موسى عليه السلام بقتله، وهو بذلك وفيٌّ لهم ومحبٌّ لهم ما يحب لنفسه – على اعتبار أن ما يقوله صدق وحقٌّ –، وتمثَّل النفي الثاني في تظاهره أيضاً وزعمه أنه يأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح والرشاد، وقد دحض الله أصدقُ القائلين كذِبَ فرعون بقوله: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ

[1]– شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1425هـ، ج: 2، ص319.

[2]– أبو إسحاق أحمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1422هـ – 2002م، ج: 8، ص284.

﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾هود: 97 – 100، فثبت بذا إذن أنها حُجَّة زائفة كاذبةٌ نفيُه عن نفسه أن يكون قد ضلَّ وأضلَّ، وهو يعلم ذلك من نفسه ويدري بأنه هو وقومُه مبطلون واهية حُجَجُهم وأن موسى هو أهل الصدق المبين، لكنه لم يشأ أن يظهِر ذلك لقومه فيتَّضع مقامُه عندهم وتزول هَيْبتُه، ويضيع ملكه، وقد أراد من حجَّته هذه إدراك نتيجة مقيتة هي إقناع قومه بأنه على صواب من الرأي في تدبيره قتل نبي الله موسى عليه السلام، وذلك هو زعْمُه الباطل فقوله بلسانه يُناقض الذي في قلبه من الذعر الشديد الناجم عن كونه مستيقناً من صدق موسى وأنه نبي مرسَل من الله تعالى.

النموذج الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾غافر: 31، "أي لا يهلكهم قبل اتِّخاذ الحجة عليهم"[1]؛ وحُجّة الله عليهم في هذا الطرف من الحوار هي أنه أَرسَل إليهم لأجْل هدايتهم –إقناعهم بوجوب الإيمان به – ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾النساء: 165، لكنهم مع ذلك اختلفوا على أنبياءهم اختلافاً كبيراً فمنهم مؤمن بالله ومنهم كافر، وقد دلَّت أداةُ النفي: "ما" على انتفاء إرادةِ اللهِ الظلمَ لعبادِه، وذلك من واسع رحمته بهم سبحانه، وجاءت الآية ببيانِ أنَّهُ لم يَقصر العدل على المؤمنين وحدهم بل هو عدل في حُكمه بينهم جميعا، وقد شمل عدله المؤمن والكافر، فلذلك لم يقلل: "للمؤمنين" –مثلا– بل ذكر ما هو أعمُّ فقال: ﴿لِّلۡعِبَادِ﴾، ولم يقل: للناس تذكيراً بمهمتهم وحقِّه عليهم وما خلقوا من أجله، وهو عبادته سبحانه وتعالى، ثمَّ هي زيادة على ذلك تحمل بياناً لحال العباد كالحاجة والافتقار والضعف الذي هو حال العباد تجاه معبودهم، فالعبد هو المحتاج المتذلل لربه، وفي ذلك شرف أن يكون الإنسان عبداً لله حقّاً، لا مجرَّد قول باللسان، وفي آيات أخر قال: ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾، آل عمران: 182، ومثلها في سورة "الأنفال" و"الحج" و"فصلت" وفي سورة "ق" لبيان شدة الافتقار إليه سبحانه، لكن النتيجة أن كثيرا من عباده أعرَضوا عن رسالاته وكفروا بها فكان العذابُ جزاءَهم كما بشَّر ووعد.

[1]– أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420هـ، ج: 4، ص112.

النموذج الخامس: حُجَّة مؤمن آل فرعون على قومه وهو يحاورهم لإقناعهم بالانتهاء عن الكيد لموسى لقتله في هذه الآية كسابقتها، وهي أن من كفر بالله وحادَّهُ ورسلَه يوشكُ أن تكون نتيجتُه أن يَحِلَّ عليه غضب الله وعذابُه، ولا ملجأ منه يومئذ ولا مهرب منه إلا إليه لأنه اختار لنفسه سبل الغواية والضلال، فكانت نتيجتُه كما خوَّفهم به فقال: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾غافر: 33، والمعنى: "﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾من عذاب الله مانع ودافع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴿٣٣﴾﴾ غافر: 33، أي: مرشد"[1]؛ ففي هذه الآيات نفى الله سبحانه أن يكون لمن كفر به مخلِّصٌ ومنجٍّ ومنقِذٌ من عذابه يوم القيامة، فالكل حائر في مصيره منتظر لحسابه، مشفق من عذابه، فالملك جميعُه للهِ والأمرُ، والحكم كلُّه لله يومها لا للبشر، فليست تنفعهم شفاعة شافع، ولا أحد يجرؤ على طلبها منه إلا من أذن له هو سبحانه، ومثلُها قول نبي الله نوح عليه السلام لابنه وهو يحاوره ليقنعه بالإيمان بالله ليُنجيَه من الغرق، ولكن ابنه ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾هود: 43، ولأنهم ضلُّوا في هذه الدنيا، وهي الحجة التي عليهم، فقد طبع الله على قلوبهم بسبب غيهم وكانت نتيجتهم أن نفى عليهم الهداية في الدارين وحرمهم منها فقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾.

النموذج السادس: المعنى في قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴿٣٤﴾﴾غافر: 34، "أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلْقه سدى، لا يأمرهم وينهاهم، ويرسل إليهم رسله، وظنُّ أن الله لا يرسل رسولا ظنٌّ ضلالٌ"[2]؛ فكانت حجتهم في نفيهم إرسال الله للرسل أن نبيهم يوسف عليه السلام الذي أتاهم برسالة ربِّهم وحكم مصر ردحا من الزمن قد بَلَّغ ما أُرسِل به، ومات، فلا حاجة في المزيد من الرسل، ولا خوفٌ عليهم من بأس ربِّهم إن جارُوا وبَغَو وكل ذلك لأجل بلوغ غاية أساسية في حوارهم مع

[1]– أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ-1998م، ج: 3، ص210.

[2]– عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، دب، 1420هـ - 2000م، ص737.

هذا الرجل المؤمن الذي انقطع لله ونبذ عبادة الأصنام، هي إقناع والناسَ بنتيجة هي أن المجال قد فُسِح لهم لكي يتمادَوا في غيِّهم وطغيانهم، لأنه في نظرهم لا حسيب ولا رقيب عليهم[1]؛ والأداة المستخدَمة في هذا النفي هي "لن"، وقد نَفَو بها إرسال الله للرسل بعد يوسف عليه السلام، وقد اختلف المفسِّرون في المقصد بيوسف في هذه الآية، فذهب الإمام الشوكاني رحمه الله إلى أن المقصود هو يوسف عليه السلام أَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ وأنه أُرسل إليهم قبل موسى بالآيات البينات وقال: "أَيْ: جَاءَ إِلَى آبَائِكُمْ، فَجَعَلَ الْمَجِيءَ إِلَى الْآبَاءِ مَجِيئًا إِلَى الْأَبْنَاءِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِيُوسُفَ هُنَا يُوسُفُ بْنُ إِفْرَاثِيمَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ، وَكَانَ أَقَامَ فِيهِمْ نَبِيًّا عِشْرِينَ سَنَةً، وَحَكَى النَّقَّاشُ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنَ الْجِنِّ يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ فِرْعَوْنَ مُوسَى أَدْرَكَ أَيَّامَ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ لِطُولِ عُمْرِهِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّناتِ وَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ يُوسُفُ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا فَكَفَرُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَكَفَرُوا بِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الرُّسُلِ بَعْدَ مَوْتِهِ"؛ وهي حجة من الله بليغة فأمثال هؤلاء المعاندين المكابرين أهل لأن تكون نتيجتُهم الإضلال والإهلاك[2].

النموذج السابع: يقول الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** ﴾، أَيْ: "يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ واضحة، و﴿**أَتَىٰهُمْ**﴾ صِفَةٌ لِسُلْطَانٍ ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**﴾، يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ التَّعَجُّبُ، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ الذَّمُّ كَبِئْسَ، وَفَاعِلُ: كَبُرَ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى الْجِدَالِ الْمَفْهُومِ مِنْ يُجَادِلُونَ، وَقِيلَ: فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى مَنْ فِي ﴿**مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾ وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَقَوْلُهُ: ﴿**عِندَ ٱللَّهِ**﴾ متعلق بكَبُرَ، وَكَذَلِكَ **وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** ﴾ قِيلَ: هَذَا مِنْ كَلَامِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ، وَقِيلَ: ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ"[3]؛ وحُجَّةُ الله تعالى في نفيه السلطان والبرهان عن الذين يجادلون في آياته هي أنهم ضالون ظالمون في جدالهم في آياته وأحكامه فنفى عنهم السلطان والقوة في كلامهم لأن ما تظاهروا به من قوة وأيْدٍ زائفٌ وغير مطابق للحقيقة، وهي حجة متناهية في الإقناع، ونتيجتها هي أن الله تعالى ينفي أو يعدم الهداية ويمقت هو والمؤمنون به أشدَّ المقت من جادل بغير

[1]- يُنظر: محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكلام المبين، مؤسسة الريان، ط2، بيروت، لبنان، 1431هـ- 2010م، ص471.

[2] - محمد بن علي الشوكاني، فتْح القدير، ج: 4، ص563.

[3]- المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص563.

وجه حق، فكما أن السلطان أو البرهان انتفى عنهم في جدالهم في آيات ربِّهم، -وهي حجة من الله عليهم-، فقد كانت نتيجتهم من جنس حالهم مع ربِّهم حيث نفى عنهم الهداية وأمدَّهم في طغيانهم.

النموذج الثامن: قول الله تعال: ﴿**وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾غافر: 37؛ أي كيدُه: "الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه مُحِقٌّ، وأن موسى مبطل، ﴿**إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾ أي: خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاءَ في الدنيا والآخرة"[1]؛ وحجة الله تعالى في هذا الخطاب لإقناعنا بأن كيدَ فرعون في خسار وتبار، واضحة من أمر فرعون، فإنه علا واستكبر في الأرض بغير الحق، فكانت نتيجة ذلك العلوِّ أن هلك وخسر دنياهُ وأخراهُ حقّاً بغرقه هو وجنوده في اليمِّ، فنفيُ الله تعالى الرشاد عن فرعون هو من جنس فِعال فرعون وحالِه فبانتفاء الصلاح والخيرية عنه -وهي شرط الفلاح- انتفى عنه التوفيق والسداد بمقتضى عدل الله وحِكمته، وقد سبق مثل هذا كثيراً، وقد وحصر الله كيد فرعون على مجرَّد التباب الشديد والهلاك الوبيل، وتلك نتيجة كلِّ مكذِّبٍ به وكافر، وأيُّ فائدة أو نفع في كيد تكون نتيجته التباب، وإنما ذكر الله ذلك لمزيد التقريع والتوبيخ، لا لأجل قدْرِ ذلك الحالِ القدْرَ الحسنَ، فليس بمستحقٍّ أو جدير لذلك.

النموذج التاسع: قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾**﴾غافر: 40، " أي من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت، فلا يعذب إلا بقدرها من غير مضاعفة للعقاب، ومن عمل بطاعة الله وائتمر بأمره، وانتهى عما نهى عنه، ذكرا كان أو أنثى وهو مؤمن بربه مصدق بأنبيائه ورسله، فأولئك يدخلون الجنة ويمتعون بنعيمها بلا تقدير ولا موازنة للعمل بل يجازَون أضعافا مضاعفة بلا انقضاء ولا نفاد"[2]؛ والحجة في مجازاة الذين يعملون السيئات بمثل ماعملوا هي أنهم أجرموا وشاقُّوا الله فاستحَقُّوا ذلك العذاب، فكانت النتيجة أن عذَّبهم الله بمثل ظُلمهم لأنفسهم

[1]- عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص737.

[2]- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ط1، مصر ، 1365 هـ - 1946 م، ج: 4، ص75.

ونفى عنهم التخفيف بقوله: ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ الكهف: 49، فكما قال الله تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ النجم: 39؛ وقد جاء نفي حصول الزيادة أو النَّقص في جزاء الكافرين من الله تعالى لانتفاء حصول الزيادة في الخير والنَّقص من الشر من جهتهم فجُوْزُوا بمثل ماعملوا عدلا منه سبحانه، والحجة في مضاعفة أجر المؤمنين أنهم لما ائتمروا بأوامر الله وانتهوا عن نواهيه وأحبُّوه وأطاعوه وبذلوا أنفسهم في سبيله كانت نتيجة ذلك أن ضاعف لهم الله حسناتهم ونفى أن يكون لرزقهم حدٌّ أو مقدار معين رحمة منه سبحانه، وإحساناً، والإقناع بذلك حاصل ومتحقِّق في هذا الأسلوب البديع، ودليل هذا من السنة العطرة الحديث القدْسي الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ قال: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»[1]، والحديث متَّفق عليه.

النموذج العاشر: في قول الله تعالى: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ غافر: 42، "مناظرة بين موقف وموقف، ودعوة دعوة... موقف الرجل المؤمن من قومه، وموقفهم منه...إنه يدعوهم إلى الخلاص والنجاة من نقمة الله فى الدنيا، وعذابه فى الآخرة...وهم يدعونه إلى نقمة الله فى الدنيا، وإلى عذاب النار فى الآخرة.. إنهم يدعونه ليكفر بالله الواحد الأحد، وأن يعبد مع الله آلهة أخرى لا يعلم لها حقيقة يطمئن إليها عقله، ويستسيغها منطقه... وهو يدعوهم إلى إله يقوم على هذا الوجود، ويمسك كلَّ ذرة منه، حفظا وعلما..."[2]؛ وقد "أراد الرجل المؤمن باستعماله صيغة النفي في حواره أن يُلزِم قومه ويُقنعهم بحجة مفادها أنه لا يُدرك

[1] – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم الحديث: 6491)، ج: 8، ص103، وأخرج الإمام مسلم نحوه في صحيحه، (كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كُتبت وإذا هم بسيئة لم تُكتب، رقم الحديث: 59)، ج: 1، ص117.

[2] – عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج: 2، 238.

مِن أمرِ هذه المعبودات من دون الله كالأوثان وغيرها أنها ذاتُ حقيقة في الوجود حتى يعلم بها، لذلك كانت النتيجة أنه كفر بها وآمن بالله وحده"[1]؛ فهو بالطبع لا يرمي إلى ظاهر المعنى بل إلى أدقَّ من ذلك وأبعد؛ فهو يعرف أنَّ معبودات قومه هي الأصنامُ التي ينحتون بأيديهم، وحاكمُهم فرعون الذي يُشرِّع لهم الأحكام بنفسه، لكنه لما نفى أن تكون آلهة بحقٍّ وأنكر ذلك بقلبه، أنكره عليهم بلسانه، فخرج من حيِّز الكتمان إلى التصريح والعلن.

النموذج الحادي عشر: قال الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ **لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾** ﴾غافر:43 والمعنى: "حقاً إنما تدعونني لعبادته لا يصلح أن يُعبد لأنه لا يسْتجيب لنداء داعِيْهِ، ولا يَقدِرُ على تفريج كربته لا في الدنيا ولا في الآخرة وأن مرجعنا إلى الله وحده فيجازي كلّاً بعمله وأن المسرفين في الضلال والطغيان"[2]؛ ومنه فحجته عليهم أن ما يشركونه مع الله في العبادةِ السرابُ فهم واهمون، وقد نفى أن يكون لتلك الأوثان نفعٌ في الدنيا والآخرةِ، لأنه يرى تلك الأحجار ساكنة على الدوام خرساء صمَّاء، وإذا دُعِيت لا تجيبُ، وإن أجيبوا مرةً بعد طول مواتٍ فإنما هو الإملاء من الله ومزيد إضلاله لهم، فكيف بإجابة النداء في الآخرة، وكذلك حاكمهم فرعونُ الذي يعبدون فأمره كلُّه وجميع مصالحه لا تقضى إلا بالذي هيَّأ الله له من أسباب لينظر أيشكر أم يكفر؛ فكانت النتيجة بعد هذا الجهد الجهيد من المحاورة لإقناعهم – أي: لهدايتهم بإذن الله، فأعرضوا- أن تبرَّأ وليُّ الله صاحب موسى المؤمن به منهم، وأخلص لله وحده العبادة، ونفى أحقِّيَّة فرعون وآلهة فرعون للعبادة، من دون الله.

[1]- يُنظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص153.

[2]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 3، ص95.

المطلب الرَّابع: الوصف

الفرع الأول: الصفة

ومن أمثلتها في هذه القصَّة:

النموذج الأولُ: كلمة ﴿مُّبِينٍ ﴾، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾ غافر: 23، والحجة فيها أنه من دلائل صدق النبي أن تظهر على يديه أمور أو علامات ومعجزات باهرة، وقد أتاكم موسى بمثل ذلك، أتاكم ببرهان وسلطان، وليس ذلك فحسب، بل إن سلطانه ذو نعت وحجة متناهيةٍ في القوة والصدق هي أنه سلطان مبين، أي قوي ومتين، وما دام ذلك كذلك فالواجب أن تكون النتيجة أن تقتنعوا فتسلِّموا له وتؤمنوا به وتكفُّوا شرَّكم عنه، فلم يكتف الله تعالى بالقول بأن موسى مرسَل بمعجزات وسلطان فحسب، فحتى سحرة بني إسرائيل كانوا يدَّعون أن لهم سلطانا، بل قطع الطريق عليهم وهو يوجِّه إليهم هذا الخطاب ببيان أنه مبين ساطع واضح معجِز...، فإن السامعين الذين يتلقون هذا الخطاب مختلفون من حيث درجة التصديق بالخبر، فمنهم من يلزم معه ذكر هذا النعت لئلا يقع منه التشكيك والتكذيب، وذلك هو حال فرعون وآله.

النموذج الثاني: (جملةُ ﴿لَّا يُؤۡمِنُ ﴾في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾غافر: 27، نعتٌ لكلمة: ﴿مُتَكَبِّرٖ ﴾): وحجة نبي الله موسى عليه السلام على الذي استنصر بالله منه في هذه الجملة النعتيَّة أنه لا يؤمن بالله، فوصْفُهُ البغيضُ ذلك حجة لموسى لأن تكون النتيجةُ طلبُ الأيدِ والعون من الله تعالى، وقد لزم من قول موسى ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ ﴾، أن يُبيِّن وصف المستعاذ بالله منه حتى يُقنع السامع أو الذي يحاوره بأن حقَّه أن يُستعاذ بالله منه، فقال مثبتا له صفة الكبر نافيا عنه صفة الإيمان بيوم القيامة: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾، وذلك هو أسلوب كل داعية مؤمن بالله فإنه في حواره غيرُ مجبَر على إقناع الناس وهدايتهم إنما أمرهم إلى الله فإن شاء هداهم وإن شاء أضلهم، ودعاء موسى ربَّهُ دليلُ ثِقته التامَّةِ بأنه على صراط مستقيم، وأنَّ من شاقَّه ليس على شيء، وهو دليل إيمانه الراسخ برقابة الله الدائمة وقربه

وقرب نصره ورحمته، وإحاطته بالظالمين المكذبين رسلَه، فكان جديراً بأن يسأل ربَّهُ النصرَ على من كذَّب رُسلَه، وكان سبب الحزن الأذية لهم عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

النموذج الثالث: في قول الله تعالى في الآية الثامنة والعشرين: ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ** ﴾غافر: 28)، "كلام مستأنف مَسُوقٌ لإيراد الحَل الملائم للعقدة القَصصية بعد أن عاذ موسى بربه ليكفيه شر هذا اللعين، وقال رجل: فعل ماض وفاعل، ومؤمن نعت لرجل، ومن آل فرعون نعتٌ ثانٍ إن كان الرجل قبطيا، والتقدير: وقال رجلٌ مؤمنٌ منسوبٌ من آل فرعون، وإن كان الرجل إسرائيليا فمن متعلقة بيَكتمُ في موضع المفعول الثاني ليكتمُ، والأوَّل أرجح، وجملة يكتمُ إيمانَه صفةٌ ثالثة لرجل"[1]؛ ونعتُ الله تعالى للرجل بالإيمان وصف تشريف له ومحمدة من الله في حق ذلك الرجل والحجة في هذا الوصف أن من كان وصْفَه الإيمانُ كمؤمن آل فرعون هذا أهلٌ لأن ينصرهُ اللهُ ويؤيدَه، وذلك مفهوم من السياق السابق لهذا الكلام ومن السياق التالي لهذه الآية ففيه بيانُ كيف أن الله تعالى نجَّاه من كيد آل فرعون لأن نعتَه الإيمانُ فقال الله تعالى: ﴿ **فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾** ﴾غافر: 45، فذلك الوصف الطيِّب العظيم من الله تعالى لمؤمن آل فرعون تعليل حسن وسبيل جَيِّد لحصول الاقتناع، ثمَّ هو وراء ذلك ومن بعده دافع للمتلقِّي لنهجِ نَهجِه، ومن هذه فوائده أيضا: الاعتبار أي حصول الاقتناع الذي ندندن حوله، وحصول القراءة الإنتاجية من المتلقي، ومن أدرك ذلك فقد اقتنع حقًّا وصدقاً بهذا الوصفِ، والنعتُ الآخر له أنه قبطي أي من آل فرعون على خلافٍ في تفسير ذلك كما تقدم ذِكْرُه كثيرا ومع ذلك لم يمنعه كونه من حاشية فرعون وأهلِ بلاطه وأصحاب تلك المنزلة أن يقول كلمة الحق عند سلطانه الجائرِ فرعون، وذلك قول الله تعالى فيه: ﴿**مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ** ﴾ أي صفته ونسبته أنه قبطي من آل فرعون ومع ذلك فقد راجع وحاور فرعون في أمر موسى فهي حجة تهدف إلى الإقناع بنتيجة هي أن من تبين له الحق وثبت، لابد له من محاجة أصحاب الغيِّ كفرعون في ذلك الشأن كما فعل ذلك الرجل القبطي المؤمن؛ والوصف الثالث في هذا النعت أنه: ﴿**يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ** ﴾، وتقدير هذا الوصف أو هذه العبارة من

[1]– محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج: 8، ص478.

الآية: "كاتمٌ لإيمانه"، وتقديرُ الثلاثةِ أوصافٍ جميعِها: رجلٌ مؤمنٌ قِبطيٌّ كاتمٌ لإيمانهِ، ونقول: قِبطي أو منسوب لآل فرعون، – مثلا–، والحجة التي يحملها هذا الوصف أنه من حكمة وحذق مؤمن آل فرعون في دعوتِهِ قومَهُ أن احتاط لنفسه وأخَذَ حِذرَه في ذلك الظرف العصيب بادىء الأمر فكتم إيمانه لغاية هي عدم تأليب آل فرعون عليه، وإبداء عدم التعصب لموسى عليه السلام لكي يكفُّوا عن الكيد له لقتله فكان ذلك الكتمان الذي وصفه الله به أدعى لحصول النتيجة المرجُوَّة وهي اقتناعهم بحواره ذلك معهم، ثم لما سنحت الفرصة جهر بدعوته ولم يرجىء أمر حاكمه فرعون بل أخرج ذلك الأمر من قصر فرعون إلى العامة الذين غطاهم غبش الذلة والمهانة، ومن اللطائف أن الله تعالى جمع هذه الأوصاف جميعا في هذا التعبير الموجز، ورتبها حسب أهميتها فقدم الإيمان لشرفه على النسب ثم ذكر بعد النسب أمرا آخر عارضا للمرء بحسب ظرفه، وهو الكتمان.

الفرع الثاني: اسم الفاعل

اسم الفاعل كغيره من الصيغ اللغوية كان حاضرا في هذا الحوار، وفيما يلي بيان لنماذجه:

الشاهد الأول: كلمة: ﴿**مُّبِينٍ**﴾ هي اسم فاعل مصوغ من فعل رباعي، وأصله "أبان" قال الإمام ابن منظور: " يُقَالُ: بانَ الحقُّ يَبِينُ بَياناً، فَهُوَ بائنٌ، وأَبانَ يُبِينُ إِبَانَةً، فَهُوَ مُبِينٌ، بِمَعْنَاهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ؛ أَي وَالْكِتَابِ البَيِّن، وَقِيلَ: مَعْنَى الْمُبِينِ،الَّذِي أَبانَ طُرُقَ الْهُدَى مِنْ طُرُقِ الضَّلَالَةِ وأَبان كلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الأُمّة؛ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: بانَ الشيءُ وأَبانَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَيُقَالُ: بانَ الشيءُ وأَبَنتُه، فَمَعْنَى مُبين أَنه مُبينٌ خيرَه وبرَكَته، أَو مُبين الحقَّ مِنَ الْبَاطِلِ والحلالَ مِنَ الْحَرَامِ، ومُبينٌ أَن نُبُوَّةَ سيدنا رسول الله، صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حقٌّ، ومُبين قِصَصَ الأَنبياء[1].، وقد سيق لغرض هو إقناع المتلقِّين بأن موسى صاحبُ دعوةِ حق وركنُه وسَندُه متين قويٌّ وهو سلطانه المنعوت بكونه مبينا، لذلك فهو خليق بأن يؤمن به فرعون وقومُه، وكلمة مبين حجة على آل فرعون، كي تحق عليهم كلمة العذاب لكفرهم فمع أنه سلطان قوي مبين إلا أنهم كفروا به وجحدوه، والذي يُثبِت ذلك أيضا هو أن كبراء علماءِ السحرةِ من بني إسرائيلَ أنفُسَهم، – وهم أعلم قوم فرعون بسلطان موسى من جهة وبسحرهم من جهة ثانية – صدَّقوا بكون ما أوتيَهُ موسى من العصا واليد معجِز وخارقٌ، ثم رأو من أمرِهِ بعدُ بقيَّةَ الآيات، وذلك قول الله تعالى فيه: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ**

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج: 2، ص199.

فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ الإسراء: 101 – 104.

الشاهد الثاني: كلمة: ﴿سَٰحِرٌ﴾ في قول الله تعالى:﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ غافر: 24، اسم فاعل مصوغ من فعل ثلاثي، إذ أصلُه: "سحر"، والساحر العالم، وسحره أيضا: خدعه وكذا إذا عالله و(سحَّره تسحيراً مثله)[1]؛ وهو تقوُّلُ ملإِ فرعون عن موسى ونعتهم له بهذه الصفة ظلما منهم وبهتانا عظيما، والغرض من ذلك هو إقناع الناس بنتيجة لهذا الحوار هي أن موسى ليس مرسلا من ربِّه وأن ما جاء به سحر كالذي يُمارسه بنو إسرائيل ليقتلوه ويكفروا به ويثبتوا على عبادة فرعون وآلهته، وفي الكلام تقدير هو موسى ساحر، – وتبرَّأ من ذلك — فإن القدح فيه وفي رسالته قدح في ذات الله العلية وهو المراد الأوَّلُ من عبدة فرعون والأصنام هؤلاء، وليس يَشقُّ على الله إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات الباهرة الدالة على صدقهم ووحدانيته سبحانه.

الشاهد الثالث: كلمة: ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ ، اسم فاعل مصوغ من الفعل الثلاثي: كبر، يقال: كبر الأمر، وخطبٌ كبير، وكبُر عليَّ ذلك إذا شقَّ عليك...، ووتكبَّر واستكبر، وفيه كبر وكبرياء، والله المتكبر: البليغُ الكبرياءِ والعظمة[2]؛ وحجة موسى فيه أن من كان هذا الوصفُ الذميمُ طبْعَه وخُلقَه فلم يصدِّق بربه ونبيه ويومِ القيامة وجبت الاستعاذة بالله منه كما فعل هو فاستعاذ بالله من كلِّ ﴿مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ غافر: 28، لأن الكبْر رداء الله وحده، فلا ينازعه فيه أحد، وعدم الإيمان بيوم الدين من الكبْر، وظاهر من أمر نبي الله موسى عليه السلام أنه إنما يُحاورهم وينصح لهم ويتكبَّد في ذلك المشقَّة لأجل هدايتهم — إقناعهم بضرورة الإيمان بالله –، أمَّا هم فإنهم يحاورون من أجل خيالات وأوهام وسراب ومن أجل التَّمادي في الفساد الذي أحدثُوه في الأرض من استعباد لبني إسرائيل وإحلال لصنوف المحرَّمات جميعِها.

[1] – ينظر: أبو بكر الرازي، معجم مختار الصحاح، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1435هـ- 2014م، ص186.

[2] – جار الله الزمخشريّ، أساس البلاغة، ص536.

الشاهد الرابع: ومِثلُ اسمِ الفاعل هذا الذي مضى ذكره اسمُ الفاعل في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴿٣٥﴾﴾غافر: 35، أي: " مثلَ إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر"[1]؛ فبيَّن فيها الحق سبحانه بذكر اسم الفاعل: ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، أن من تكبَّر طبع الله على قلبه بعدل منه سبحانه حتى يلقاه كافراً به فيُكبكبُه في دركات الحريق، والإقناع بأسماء الفاعلين هذه إذا كان من جهة الله تعالى، أي عائداً عليه سبحانه فهو متحقِّق قطعا فلا أحد أصدق من الله قيلا وحديثا، وقد أراد الرجل المؤمن إقناع قومه بأن كل من أراد الكيد لموسى كفرعون وغيره فهو متكبر متجبر حقه أن يطبع الله على قلبه ليزيده إضلالا مع إضلال، وعَود الضمير المستتر في هذه الآية على فرعون ابتداء فهو المذكور الأقرب في هذا السياق وحاله ينطبق عليه هذا الوصف باسم الفاعل ﴿مُتَكَبِّرٍ ﴾ ويدخل فيه بعده كلُّ من شاكَله.

الشاهد الخامس: أما الشاهد الأول فهو كلمة: ﴿كَٰذِبًا﴾ في قوله تعال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴿٢٨﴾﴾غافر: 28، وهي اسم فاعل من الجذر الثلاثي كذب، ويقال: هو كذوب، وكذَّاب وكُذَبة وكَيذبان وكذب أخاه كذبا، وتَكذَّب: تكلَّف الكذب، وكذَّبه وكذَّب به: جعله كاذبا بأن وصفه بالكذب، وهو من تكاذيب العرب، وكذَبتْكَ عينُك: أرَتْك ما لا حقيقة له[2]؛ ص541

وأما الشاهد الثاني فهو كلمة: ﴿صَادِقًا ﴾ من الآية السابقة نفسها أطلق الرجل المؤمن فرضين اثنين أحدهما الصدق والآخر الكذب وقدَّم ذِكرهُ الكذبَ على ذِكرِه الصدقَ في حق موسى عليه السلام لأغراض بليغة منها أن يُظنَّ به أنه يعبد فرعون وآلهته لا إله موسى، عسى أن يصدِّقوه ويقتنعوا بحُججه، فلذلك قدَّم فرَض الكذب، ولئلَّا يُدرى بأنه مؤمن بموسى ومتعصب له، وليُظهر أنه محايدٌ وموضوعي في حواره فرعونَ وملأَه لإقناعهم بعدم الفائدة والجدوى من قتل موسى عليه السلام، وذلك دليلُ حِكمته وحِنْكته في الخطاب، فهو يعلم أنه الأسلوب الأنجع في محاورة هؤلاء المكذِّبين،

[1] – جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، ط5، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م، ج: 4، ص532.

[2] – ينظر: جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ص541.

فإنهم لو شعروا فقط بأنه في زمرة المؤمنين لقتلوه هو أوَّلاً، ويكفي وليَّ هذا صاحبَ موسى فضلاً وشرفاً أنه لم يُطلق في حقِّ موسى أحكاما تفيد كونه كافراً به أو مكذِّباً له بل لقد أنزل الله في شأنه آيات تتلى وَصَفه فيها بأنبل وصف وهو الإيمان الحقُّ به والدعوة إليه سبحانه، من خلال كلمة الحقِّ التي قالها عند سلطانه فرعون، وهو إلى هنا لما يجهر بعد بإيمانه، لأن الفرصة لما تسنح بذلك بعد، وقد كان في أسلوبه ذلك تبكيت لفرعون وحاشيته وإلزام لهم بالحجة من خلال اسمَي الفاعل معا: ﴿كَٰذِبًا﴾ حيناً، و ﴿صَادِقًا﴾ حينا آخر في قول الله تعال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ غافر: 28، والحجة في هذين الاسمين هي أن الأليق والأجدى بآل فرعون أن تكون نتيجتها الإيمان بموسى كما دعاهم هو وأخوه هارون وهذا الرجل المؤمن، كيفما كان حال موسى صادقا أو كاذبا لطالما أنهم بُرَءاؤُ عند الله من كل ما يستوجب غضبه، فعلى فرَض أن موسى كاذب –وتبرَّأ من ذلك – ﷺ وعلى أنبياء الله جميعا– في دعوته فإن الله لا تخفى عليه حقيقة ما في قلوبكم من إرادتكم رضوانه بالإيمان به مع موسى عليه السلام، ووِزر موسى عليه دونكم، وعلى فرَض أنه مرسَل من ربِّه فذلك عين الصواب، وبه النجاة من عذاب الله وعقوبته، وبذلك تكون نتيجة الإيمان به نافعة لكم جميعاً في الحالين كليهما، ذلك مع أنه ليس بغريبٍ أبداً على فرعون وآله بعثُ الرُّسل، وقد ذكَّرهم صاحبُ موسى بنبيهم يوسف عليه السلام من قبل، فما كان ليَعزَّ على الله أن يبعث إليهم رسولا آخر أو رسلاً فتلك سُنته سبحانه.

الشاهد السادس: كلمتا: ﴿هَادٍ﴾ و﴿عَاصِمٍ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ غافر32، فأما الأولى فهي اسم فاعل من الجذر اللغوي الثلاثي: هدى، وأصلها: "هادي" فحُذِفت ياؤها؛ و: "الهادي: من أسماء الله تعالى، هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في بقائه ودوام وجوده، والهادي: الدليل لأنه يتقدم القوم ويتبعونه، أو لكونه يهديهم الطريق والمهدي: الذي قد هداه اللها إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به أنه يجيء في آخر

الزمان، جعلنا الله من أنصاره[1]"؛ وأما الثانية فهي مشتقة من الجذر اللغوي عصم؛ والعِصْمة فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: المَنْعُ، وعِصْمةُ اللَّهِ عَبْدَه: أَنْ يَعْصِمَه مِمَّا يُوبِقُه، عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً: منَعَه ووَقَاه، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾هود: 43؛ أَيْ لَا مَعْصومَ إِلَّا المَرْحومُ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى النَسب أَيْ ذَا عِصْمةٍ، وَذُو العِصْمةِ يَكُونُ مَفْعُولًا كَمَا يَكُونُ فَاعِلًا، فمِن هُنَا قِيلَ: إِنَّ مَعْنَاهُ لَا مَعْصومَ، ... قَالَ الأَزهري: والحُذَّاقُ مِنَ النَّحْوِيِّينَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ قولَه لَا عاصِمَ بِمَعْنَى لَا مانِعَ، وَأَنَّهُ فاعلٌ لَا مَفْعُولٌ، وأَنَّ مِنَ نَصْبٌ عَلَى الِانْقِطَاعِ[2]؛ وعن الحجاج في اسمي الفاعل هذين، فإن صاحب موسى عليه السلام قصد إلى أن الله تعالى قد أعذر إلى عباده على ألسنة أنبيائه وفصَّل إليهم كل شيء تفصيلا، فلم يدع لهم أمرا من أمور دينهم ودنياهم إلا وضَّحه لهم وبيَّنه تيسيراً ورحمة منه بهم، وذلك كله لأجل حق واحد له عليهم هو أن يعبدوه وحده، لكن كثيرا منهم استحَبُّوا الضلالة على الهدى وحادُّوه ورسلَه، فحقت عليهم كلمة العذاب لأن الله لا يُصلِح بحال أمر الكافرين به المكذبين برسله،وإذا أحلَّ بهم بأسه، وأنزل عليهم عقوبته، قضى عليهم بالهلاك، ولم يدع لهم مهربا، ولم يقبل لهم عذراً ولا توبة لأن وقت العمل قد مضى ولم يبق إلا الجزاء، وهاته هي نتيجة ذلك الإعراض والتكذيب، ونتيجة تلك الحوارات الطويلة لأنبيائه معهم، فلا عاصم لهم من عذاب الله ولا هادي.

[1] – محمد بن محمد (مرتضى الزبيدي)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية، دط، دب، دت، ج: 40، ص295.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ص176.

المطلب الأول: الصور البيانية

الفرع الأول: الاستعارة

ومن أمثلتها في هذه القصة الشواهد الآتية:

الشاهد الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ من الآية: 35 من هذه السورة، وقد وردت كلمة: سلطان، مرتين في هذه القصة: والمراد بها في كلتا الآيتين: "الحجة والبرهان، التي تفرض نفسها على الخصم، ولا يسعه عند سماعها إلا الاقتناع والإذعان"[1]؛ والحال في آل فرعون: "أَنَّهُمْ يُجَادِلُونَ بِمَا لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَلَكِنْ بِاللَّجَاجِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، وأَتاهُمْ صِفَةٌ لِسُلْطانٍ، وَالْإِتْيَانُ مُسْتَعَارٌ لِلظُّهُورِ وَالْحُصُولِ، وَحُصُولُ الْحُجَّةِ هُوَ اعْتِقَادُهَا وَلَوْحُهَا فِي الْعَقْلِ، أَيْ يُجَادِلُونَ جَدَلًا لَيْسَ مِمَّا تُثِيرُهُ الْعُقُولُ وَالنَّظَرُ الْفِكْرِيُّ وَلَكِنَّهُ تَمْوِيهٌ وَإِسْكَاتٌ"[2]؛ وحُجَّةُ الله في إضلال بعض عباده هي أنهم: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾، وقد سبق بيان معناها، وأما النتيجة فهي بقية هذه الآية وهي قولُه تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾غافر: 35، أي: مَقَتَهُم الله والمؤمنون به أعظمَ المقت كنتيجةٍ لحجة من الله وهي كفرانهم ومجادلتُهم في الله بغير حقٍّ، وقد شَبَّه الله تعالى السلطان، أي (الحجة) بالشيء الذي من صفتهِ الإتيانُ كالإنسانِ مثلاً، فحذف المشبه به الإنسان، وأبقى على قرينة دالة عليه وهي الفعل: ﴿أَتَىٰهُمۡ﴾ على سبيل الاستعارة المكنية، فمراد الله تعالى من هذه الحجة هو إقناعنا بأنه لابد للذي يجادِل كي تُقبل حجتُه من استعمال الأدلة والإثباتات والبراهين القوية ليُقْنِع غيره، وهي التي وصفها الله تعالى بالسلطان، أما اللوْذُ بالأدلة والبراهين الواهية في الحوار قصد خداع الغير بِلُحون الكلام فإنَّه تمويهٌ باطل وتعمية عن الحق، فلا يعتمده إلا المنهزمون المنكسرون، والله تعالى يريد أن يُعَلِّمنا أنَّ الخوض في الأمور العظام لابد فيه من الرَّويَّة وإعمال العقل حتى تكون أحكامنا ورُؤانا صائبة موفَّقة، ووصفُه الحُجة بالسلطان دليل عِظم أمرها، ذلك بأن الذي قدر على

[1]- محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1405 هـ - 1985م، ج: 5، ص389.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص142.

الاستدلال بالكلام الصادق المتيقَّن المثبَت بالأدلة المقبولة فإنه لا يخشى بعد ذلك التكذيب وغلبة خصمه عليه لأن معه سلاحا قويًّا داعما له ومؤيِّدا.

الشاهد الثَّاني: قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾غافر: 35، "وتأويل الكلام: كذلك يضلّ الله أهل الإسراف والغلوّ في ضلالهم بكفرهم، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجَج"[1]؛ "ولقد جَرَى أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْجُمَلَ حِكَايَةٌ لِبَقِيَّةِ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ وَبَعْضُهُمْ جَعَلَ بَعْضَهَا مِنْ حِكَايَةِ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ وَبَعْضَهَا كَلَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مِنْ تَجْوِيزِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: الَّذِينَ يُجَادِلُونَ إِلَخْ بَدَلًا أَوْ مُبْتَدَأً، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ مُقْتَصِرًا عَلَى بَيَانِ الْمَعْنَى دُونَ تَصَدٍّ لِبَيَانِ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا"[2]، ولقد شَبَّه اللهُ تعالى في هذه الآية الكريمة قلب المتكبر الجبار بالشيء المادي الذي يُجعل عليه الختم أو التوقيع، فحذف المشبه به (كالورق وغيره)، وأبقى على قرينة دالة عليه وهي يطبع على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه الإقناع فيها أنه كما أن الإنسان مثلا إذا أراد قضاء مصلحة يلزم معها الطبع (الختم)، فإنه يوقِّعُ عليها ويختم سواء للشر لدفعه أو للخير لجلبه، فكذلك الله حجته أنه لما علم من حال المستكبر أنه لا يصلح معه إلا أن يزيد في إضلاله وغوايته، فمن هنا كانت النتيجة أن طَبع على قلبه، والله تعالى يريد أن يُوصِل إلينا ويُعلِّمنا أن التكبر والتجبر جزاؤه النكال منه والعذاب بداية بالطبع على القلب، عسى أن تقتنع نفوسنا فتجتنب هذه النواهي.

الشاهد الثالث: قول الله تعال: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ غافر: 29، "أي عالين الناسَ في أرض مصر فلا يقاومكم أحد في هذا الوجه، فلا تُفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لعذاب الله بقتل موسى فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد"[3]، فقد شبه الرجل المؤمنُ البأسَ وهو عذاب الله وانتقامه بالشيء القوي العظيم الذي يُخشى ويحذر وفيه صفة الانتقام والفتْك، وإلى جانب ذلك فيه صفة الإتيان كالإنسان وغيره فحذف المشبه به وأبقى على قرينة دالة عليه هي ينصرنا وعبارة إن جاءنا، كما لو أن الإنسان في قتال مع خصمه الذي فيه صفة حب الانتصار

[1]– محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: 21، ص384.

[2]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص141.

[3]– محمد بن عمر الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تح: محمد أمين الصاوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ، ج: 2، ص347.

والغلبة، فتراه حريصا على التغلب على خصمه وقرينة أخرى هي كلمة جاءنا، على سبيل الاستعارة المكنية، وقد هدف مؤمن آل فرعون من خلال حجته على قومه من أن الله قد أسبغ على قومه شتى النِّعم ظاهرها وباطنها، فكان لزاما عليهم أن يُؤمنوا بالله ويحذروا نتيجة تكذيبهم وهي حلول غضبه وبأسه بهم، فإنه إذا حلَّ بهم لا يدفعه عنهم أحد، وهذا الأسلوب هو ما يُعرف بأسلوب الترهيب، وهو كثير في القرآن الكريم، وفائدته في الحوار الإقناعي جليلة.

النموذج الرَّابع: في قَوْلِه تعالى: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾** ﴾غافر: 41، حشْدٌ من الصور البيانية البليغة في شكل استعارات متنوِّعة بين مكنية وأخرى تبعية وأخرى تخييلية، ليس يسع المقامُ لإيرادها كلِّها، لذلك سنتناول منها بالدراسةِ الاستعاراتِ المكنيةَ فقط، وقد أشار إليها العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره، وقد اعتضدت في تحقيق هذه الصورِ مجتمعةً قرائنُ هي الفعل الماضي: ﴿**أَدْعُوكُمْ** ﴾، وقد تكرر وروده مرة ثانية، والفعل المضارع : ﴿**وَتَدْعُونَنِي** ﴾ الذي ورد هو بدوره مرتين، وحَرْف الجرِّ:﴿**إِلَى** ﴾، وقد ورد ثلاث مرات، ونابت عنه لام التعليل مرة واحدة؛ "وهو دَالٌّ عَلَى الِانْتِهَاءِ لِأَنَّ الَّذِي يَدْعُو أَحَدًا إِلَى شَيْءٍ إِنَّمَا يَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ، فَالدُّعَاءُ إِلَى اللَّهِ الدُّعَاءُ إِلَى تَوْحِيدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَشُبِّهَ بِشَيْءٍ مَحْسُوسٍ تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ"[1]، فحُذف المشبه به الذي فيه صفة المجيء، ومِثلُ ذلك في الدعوة إلى النجاة: ﴿**أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ** ﴾ ، وفي الدعوة إلى النار: ﴿**وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾** ﴾ غافر: 41، ومثلُه أيضا في الدعوة إلى الكفر: ﴿ **تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ** ﴾ غافر: 42، فقد شُبِّه المأتيُّ إليه فيها كلَّها بالأمر المحسوس الذي ينتهي إليه الإنسان ويدركه بصفة المجيء فحُذف المشبه به: (الشيء المادي المحسوس)، وأُبقي في كل ما تقدّم على قرينة دالّة عليه هي الفعل: ﴿ **تَدْعُونَنِي** ﴾، والفعل المضارع: ﴿**أَدْعُوكُمْ** ﴾وحرف الجر: ﴿**إِلَى** ﴾ ولام التعليل في الفعل المضارع: ﴿**لِأَكْفُرَ** ﴾، على سبيل الاستعارة المكنية، ووجْه الإقناع في المثال الأول: ﴿**أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ** ﴾، أنه بدعوته إيَّاهم إلى السبب الذي يُنجيهم من النار وهو عبادة الله فقد دعاهم إلى النتيجة والعاقبة

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص153.

الحسنى وهي الفوز بالجنة والنجاة من النار، ووجه الإقناع في المثال الثاني: ﴿وَتَدْعُونَنِنِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، أنهم بدعوتهم مؤمنَهم إلى عبادةِ فرعونَ والأوثانِ من دون الله إنما يُعرِّضونه لغضب الله الموجِبِ لِعذابه ومن صنوفِ عذابهِ النارُ فلذلك اقتصد في الجهد والوقت وقطع عليهم طريق الجدال الطويل الذي قد يزيد من تعنُّتهم وتماديهم في العناد دون فائدة، فمن أجل ذلك اختار هذا الأسلوب وترك التقدير والتأويل الذي قدَّرْناه وأوَّلْناه، ففي هذا المثال وفي الذي سبقه، كانت حجته مجملة، حيثُ عُني فيها بذكر النتيجة مباشرة، ثم لما أتمَّ إجمال وإيجاز خِطَابِه وبيَّنه التفت إلى التفصيل ومزيدِ التوضيح فقال لهم: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾غافر: 42، فكأنه قال لهم شارحا كلامه: أعني تدعونني...، ووجه الإقناع في المثال الثالث: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ظاهرٌ بداية بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي استهلَّ به حواره معهم وهو أن ما يُزيِّنُونه إليه من دعوتهم له ليكفر بالله مثلهم فيذر عبادة الله ويشرك معه فرعون وآلهته مثلهم وهو لا يعلم لهذه المعبودات حقيقة؛ "أي: لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولاعقل"[1]؛ والحجة في قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ غافر: 42، أنه من العقل أن يُقابِلوا إحسانه إليهم وهو دعوته إيَّاهم إلى عبادة الله العزيز الغفار بمثلهِ، لكنهم بلُؤمهم يدعونه إلى الكفر به، وقد قدَّم ذكر لفظة العزيز على لفظة الغفار أدبا مع الله تعالى لأنَّ أمرهم إليه إن شاء عذَّبهم بكفرهم به وهو: العزيز، وإن شاء غفر لهم وهو الغفور، وكونهم كفارا اقتضى سبق اسم الله أنه عزيز، وكذلك فَعل نبيُّ الله عيسى عليه السلام فقدم ذكر كلمة العزيز على كلمة الحكيم فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ المائدة: 118.

-الفرع الثاني: التشبيه

الشاهد الأول: في وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾غافر: 30، تشبيه مرسَل مجمَل، ولقد استعملت كلمة الأحزاب في كتاب الله في " سورة الأحزاب " للتعبير

[1]- ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل الأحكام، ج: 21، ص391.

عن المجتمِعِين الذين تحالفوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، استعملت في هذا الربع وغيره من بقية السور، للتعبير عن جميع من تحزبوا على أنبياء الله ورسله، وتصدَّوا لهم بالمعارضة والمقاومة في مختلف الأجيال والعصور، فكان لكل " حزب " منهم يومه الموعود، قال الله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾"[1]؛ وقد شبَّه الرجل المؤمن حال قومه آل فرعون، وهم يُحادُّون الله ونبيه موسى بحال الأحزاب من الأمم السابقة من قبلُ، وهم يُحادُّون الله ورسله، ووجه الشبه هو الصورة المشتركة والنتيجة الواحدة في الصورتين أو التشبيهين كليهما، ومُراد الرجل المؤمن في هذه القصة أو النتيجة التي يهدف إليها هي إقناعُ قومه الكافرين بالله كفرَ الأحزابِ السابقةِ التي كذبت اللهَ ورسلَه فأنزل عليها الوبال الشديد والرجز الأليم، فهو إنما خوَّفهم بآثار بأس الله التي ما أبقى على أكثرها إلا مجرَّد أحاديث تروى لأجل الاعتبار والكفِّ عن أذيَّة الله ورسله، لكنهم لم يقتنعوا بحواره معهم، واستمرُّوا في غيِّهم وكفرهم، ولم تكلف رسلهم بإجبارهم على الإيمان ولا وكِّلوا بهم لهدايتهم وهذا أمر عاديٌّ في فنِّ الحوار الإقناعي الهادىء الهادف، ولا يُشترط في الحوار عموما حصول الإقناع كما بيَّنَّا من قبل وإلا استحال الحوار الهادىء جدالا عنيفا، إنما مجرَّد إيصال الفكرة وإقامة الحجة نتيجة جيدة، ويبقى وزر المعاندين عليهم وحدهم، فأعظم بحوار الأنبياء من حوار، لكن بالرغم من ذلك كله فإن المصدِّقين لهم قليلون جدّا.

الشاهد الثاني: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾غافر: 30؛ تشبيه مجمل مرسل"أي: كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذلك يطبع على قلب كل متكبر جبار، فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بغير حق، وقرئ بتنوين "قلب"، فما بعده صِفته، ووصف القلب بالتكبر والتجبر؛ لأنه منبعهما"[2]؛ وقد شبه الله تعالى في هذه النتيجة التي هي الطبع على قلب المتكبر الجبار بالطبع والختم على قلوب الذين يجادلون في آياته من دون علم وحجة مقبولة، وحجة الله كما مرَّ آنفا هي أنهم تمادَوا في تكذيبهم رُسلَه وجادلوا في الله بغير

[1]– محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج: 5، ص389.

[2]– مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرءان الكريم الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، (1393 هـ - 1973 م) - (1414 هـ - 1993 م)، الأزهر، ج: 8، ص637.

علم، فحقت عليهم النتيجة الوخيمة وهي الطبع على القلب، ووجه الشبه محذوف وهو الجحود والإصرار على التكذيب والعناد، وهو تشبيه، وقد أراد الله تعالى إلى إقناعنا بأن الاتصاف بالصفات الذميمة كالتكبر والتجبر على أنبياء الله وعلى رسالات الله وأحكامه معرِّض لغضبه وموجب لعقوبته سبحانه وأول عقوبته الختم على القلب، وليس الغرض من قصِّ القصَص هو التثقيف وليس الغرض التسليةُ فحسب إنما الاعتبار والتبصر الموجبُ للارتداع والانتهاء عن الغي والتجبر.

الفرع الثالث: الكناية

الشاهد الأول: في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ** ﴿٢٦﴾﴾ غافر: 26، "وَذَلِكَ يُسْتَتْبَعُ كِنَايَةً عَنْ خَطَرِ ذَلِكَ الْعَمَلِ وَصُعُوبَةِ تَحْصِيلِهِ لِأَنَّ مِثْلَهُ مِمَّا يَمْنَعُ الْمُسْتَشَارُ مُسْتَشِيرَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ: وَلْيَدْعُ رَبَّهُ لِأَنَّ مُوسَى خَوَّفَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَتَحَدَّاهُمْ بِالْآيَاتِ التِّسْعِ، وَلَامُ الْأَمْرِ فِي وَلْيَدْعُ رَبَّهُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّسْوِيَةِ وَعَدَمِ الِاكْتِرَاثِ، وَجُمْلَةُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ تَعْلِيلٌ لِلْعَزْمِ عَلَى قَتْلِ مُوسَى"[1]؛ فذلك الذي أراد أن يقنعهم به من الحجة، ليتمكن من تحصيل نتيجة وبيلة هي قتلُ موسى عليه السلام، ولما لم يجد الساحة (البلاط الحكوميَّ) خالية له وحده لإنفاذ أحكامه، أُضطرَّ إلى المحاورة والمشاورة قبل الإقدام على القتل، ولأنه وإن كان يتظاهر باللامبالاة بما وراء قتل موسى فإنه كان يُبطن غير الذي يُظهر لقومه، وقد عَلم من أمر موسى أن الذي جاء معجزات وخوارق لا يمكن بحال أن تكون مفتراتاً من عنده، ففي إظهاره الخوف على قومه من ضياع دينهم كناية على كونه يخاف على نفسه أن ينحطَّ شأنها على يد موسى عليه السلام فهذا هو المقصد الخفي والمباشر، لكنه لكبَرِه وجحوده عدل عنه للتظاهر بالشفقة على قومه وتبجيلهم على حُظوظه وقد أصبح فرعونُ بتزايد عدد أتباع موسى أكثر خوفا وحذرا، وأكثر تصديقا بنبوءات الكهنة بشأن رؤياه التي صورت له نهايته، غير أنه يُبطن غير الذي يُظهِر ويدَّعي.

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 9، ص125.

الشاهد الثاني: قال الله تعالى: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ غافر: 42، وَالْمَعْنَى: "تَدْعُونَنِي لِلْكُفْرِ بِاللَّهِ وَإِشْرَاكِ مَا لَا أَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ، وَمَعْنَى: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ مَا لَيْسَ لِي بِصِحَّتِهِ أَوْ بِوُجُودِهِ عِلْمٌ، وَالْكَلَامُ كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ آلِهَةً بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ بِنَفْيِ اللَّازِمِ عَنْ نَفْيِ الْمَلْزُومِ، وَعُطِفَ عَلَيْهِ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ فَكَانَ بَيَانًا لِمُجْمَلِ جُمْلَةِ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ، وَإِبْرَازُ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: وَأَنَا أَدْعُوكُمْ لِإِفَادَةِ تَقَوِّي الْخَبَرِ بِتَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى خَبَرِهِ الْفِعْلِيِّ"[1]، وحجة هذا الرجل المؤمن على قومه هي أنه يدعوهم إلى الفوز برضا الله والجنة، لكن نتيجة ذلك إزّاءه هي أنهم يريدون تثبيته على ديانتهم الوثنية، وقد مضى ذكر هذا المقصد من هذه الآيات وهو لا يقصد بقوله:﴿مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه غيُر عالم بحال تلك الأوثان بالفعل، إنما هو يكني عن عدم إيمانه بها والتكنية هذه أسلم له وأدعى لنجاته من فرعون وقومِهِ، من أن يصرِّحَ بكفره بها، وإيمانه بالله وبنبيه موسى عليه السلام

المطلب الثاني: المحسنات البديعية

الفرع الأول: الطباق

الشاهد الأوّل: بين كَلِمتَي: ﴿ذَكَرٍ﴾ و﴿أُنثَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾غافر: 40، طباق إيجاب، والحجة في هذه الآيات هي أن الإيمان بالله هو مناط نيل مرضاته، والنتيجة التي أراد الرجل المؤمن إيصالها إلى فرعون وملإه ومن ثمة قومه أيضا هي أن الله تعالى بعدله وحكمته لم يَستثن من الإيمان والعمل الصالح لا الرجالَ ولا النساءَ إنما ساوى بينهم في التكليف في كل الأمور الشرعية تقريبا وما نزل مما اختص به الرجال دون النساء أو النساء دون الرجال فإنما هو لاعتبارات معلومة فجاء خطاب مؤمن آل فرعون هذا لقومه عامًّا شاملا لهم جميعا يدخل فيه القوي والضعيف، الكبير والصغير، الغني والفقير...أي فرعون الحاكم الطاغية وملأه والسواد الأعظم من رعيته، وذلك من الحكمة والعدل المطلق، لذلك

[1]- المرجع نفسه، ج:9، ص153.

اختار مؤمن آل فرعون عبارة فاذة جامعة لهذه المعاني كلِّها في حواره قومَهُ لإقناعهم فجاء هذا الطباق البديع، فلا يحتجَّ بعد ذلك أحد منهم فيدعي لنفسه الأفضلية في أمر ما ليتملص من التكليف مثلا.

الشاهد الثاني: في قول الله تعالى: ﴿ **لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ** ﴾غافر: 43؛ طباق بين كلمتين متضادتين، هما: ﴿**ٱلدُّنْيَا**﴾ و﴿**ٱلْأٓخِرَةِ**﴾ ونوعه إيجاب وقد تَقَدَّم تفسير هذه الكلمات، ووجْه الإقناع في هذا الطباق متحقق بأمرين اثنين كأكثر ضروب الأصناف الأدبية واللغوية، بحسن سبكه أولا ثم بجودة معناه ثانيا، وتتجلى قوة الدلالة وحسن التعبير وجماليته فيما أفادته الآية الكريمة من أن هذا الرجل المؤمن قد عرَّف قومه رأيه وموقفه من موسى ودينه من جهة، ومن فرعون ودينه من جهة أخرى، على وجازة في الألفاظ ودقة، فبيَّن لهم أن عبادتهم للأوثان باطلة فلا يُؤَمَّل فيها نفع لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهو لم يكتف بذِكر دنياهم التي بها يتشبّثون فقط بل ذَكر ما يقابلها وهو الآخرة التي هي أهم منها لكنهم بها يُكذِّبون، وهو إذْ يُذكِّرهم بالآخرة يعلم حالهم مع آيات الله واعتقادهم بها، وما ذكرهم بهذا الكلام لأجل أنهم مؤمنون بها ومصدقون، بل لأجل إقناعهم بالإيمان بها، وقد مضى أن موسى عليه السلام لما علم مماراة وكُفر آل فرعون بالآخرة قال: ﴿**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ** ﴾غافر: 28، وأراد هذا الرجل المؤمن من حواره مع قومه أن يقنعهم بأمر آخر –وهو يعلم أنهم لا يؤمنون بالآخرة– هو أنهم حتى ولو تمكنوا من قتل موسى وهي عادة كثير من الأمم قبلهم فإن وراءهم يوما عظيما ثقيلاً وسَوف يحاسَبون فيه على إجرامهم وتكذيبهم رسله أشدَّ الحساب، لذلك استعمل هذا الأسلوب، فبيَّن أن عبادتهم تلك واهية في دنياهم التي تنافسوها وتعلقوا بها التعلق البالغ، وبيَّن أيضا عدم نفعها في الآخرة، فكان ذلك أدعى لقبول حجته لولا أنهم قوم عَمُون.

الفرع الثاني: المقابلة

الشاهد الأول: قال الله تعالى: ﴿**وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾**﴾غافر: 28، أي: إن كان هذا الرجل، أي موسى كاذبا في دعوته، كان وبالُ كذبه عليه، فاتركوه، وإن كان صادقا في دعواه يصبكم بعض الذي يعدكم به إن خالفتموه

من العقاب الدنيوي والأخروي، فاتركوه أيضا في دعوته[1]؛ ويتجلى عنصر الإقناع في هذه المقابَلة، في كون الرجل المؤمن قد قطع على فرعون وملإه طرق وألوان الذرائع التي يلتمسونها لأجل إصدار أمر مشترك بينهم بقتل نبيهم موسى عليه السلام، وبمعنى آخر أنه كيفما كانت حجتكم لأجل قتل موسى – كاذبا أو صادقا- فإن الأمر الذي جاء به أي دعوته – لا تستوجب قتله، فلا تقْدموا على هذه المكيدة فتندموا عندما لاينفع الندم، وقد كانوا من قبل يرمونه بالكذب فجاءهم الرجل المؤمن بالحل الوجيه.

الشاهد الثالث: قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ غافر: 3؛ ومعنى قولِه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ غافر: 39، "أي: قليلَةٌ زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ عَنْ قَرِيب تذهب وَتَضْمَحِلُّ، ومعنى قولِه: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ أي التي لا زوال ولا انتقال منها وَلَا ظَعْنَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، بَل إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا جَحِيم"[2]؛ فقد بينت الآية الكريمة صنفين متباينين متقابلين من الحياة للإنسان هما الدنيا الزائلة والآخرة الباقية، ووجه الإقناع في هذه الآية أنه إذا كان ذلك هو الفرق بينهما فحريٌّ بمن كان ذا لُبٍّ راجحٍ سليمٍ وخيرٌ له أن يختار الآخرة التي وصفها الله بأنها دار القرار والبقاء الدائم، ويذرَ الدنيا الفانية التي وصفها الله بأنها متاع أي مجرد ولَهْو محدود سرعان ما ينقضي، فالله تعالى عرض علينا صورتين متقابلتين لشيئين مختلفين ليُرَغبَنا في أحدهما ويحَبِّبَه إلينا ويُرَهِّبَنا من الآخر ومن التعلق به ويحذرَنا منه، ثم ترك لنا الاختيار، وأمثلة هذه الطريقة في الإقناع كثيرة في القرآن الكريم، وهو من أفضل الطرائق في إقناع المخاطَبين وإقامة الحجة عليهم.

الشاهد الثاني: قال الله عز وجل: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾غافر: 40، فقولُ ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾، معناه: "سُوءاً في الآخرة وقولُه تعالى: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾أي في الآخرة جزاءعملهم الحسن﴿يُرۡزَقُونَ﴾، من النعم الجسيمة والخيرات العظيمة ﴿فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾، رزقا واسعا بلا تبعة ولا تقتير ولا إسراف

[1]– وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1422هـ، ج: 3، ص2272.

[2]– محمد علي الصابوني (تحقيق واختصار)، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، 4-48 ط7، بيروت – لبنان، 1402 هـ - 1981م، ج: 2، ص245.

ولا تقدير بمقابلة العمل، بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة، وفيها إشارة إلى عظيم فضل الله وشرف ثوابه ومزيد عطائه"[1]؛ وقد قابل الله تعالى بين صنفَي الجزاءِ يوم القيامة لصنفَي العملِ في الدنيا، وما قصدَ في ذلك إلى مجرد التثقيف وتوسيع المدارك فحسب، بل إلى ما هو أرفع شأنا من ذلك كله، فإن من أعظم غايات القرآن الكريم من استعماله طريقة المقابلة ترغيبُ الناس وتحبيبُ أوجه البر والصلاح إليهم، ومن ثمة دفعهم إلى الترجمة العملية لأوامره وتطبيق أحكامه جميعِها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، أي: إقناعهم بأن سبيل الفلاح والفوز بالجنة ونعيمها المقيم هو الإيمان والعمل الصالح كما دلت على ذلك الآية في الشق الثاني من هذه المقابلة، وبالمقابل لذلك ترهيبهم بما تحذَره النفوس وتخافه، من خلال إيراد صور العقاب المعَدِّ لمن أعرض عن كتاب الله، وصدف عن آياته، وكَسَب السيئاتِ، وهو ما صوَّرته الآية في الشِّقّ الأول منها.

الشاهد الثالث: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾** ﴾غافر: 41 – 42، مقابلة أُجمِلت في الآية الأولى: 41، ثم فُصِّلت في الآية الموالية لها: 42، ومعنى الآية الأولى: "ويا قوم الذين أنتم أهلي وعشيرتي: أيُّ شيء هو لي مبايِنٌ للْحقِّ والخير حتَّى رفضتم دعوتي إلى الإيمان الذي يوجب النجاة من الخلود في عذاب النار يوم الدين، وأي شيء هو لكم من دليل تقبله العقول السليمة، وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب الخلود في عذاب النار؟!"[2]؛ "وقد كرَّر نداءهم إيقاظًا لهم عن سنة الغفلة، ومبالغةً في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه"[3]؛ إنها حجة واضحة بليغة أتت في شكل مقابلة بين صورتين أو موقفين متضادين متنافرين كأشدِّ ما يكون التَّضادُّ والتنافرُ في هذه المحاورة الطويلة المتدرِّجة الحذرة، سعيا من هذا الرجل المؤمن لإقناع قومه بأن المنطق السليم يقتضي الانتهاء عن التربص لموسى للفتك

[1]– عبد القادر آل غازي، بيان المعاني، مطبعة الترقي، ط1، دب، 1382 هـ – 1965م، ج: 3، ص584.

[2]– محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكتاب المبين، ص472.

[3]– مجير الدين المقدسي، فتح الرحمان في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُّؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُّؤُونِ الإسلاَمِية)، ط1، دب، 1430 هـ – 2009 م، ج: 6، ص120.

به والنيل منه ومن دعوته وأتباعه، ويُوجب مقابلة هذا الإحسان العظيم وأكرِم به من إحسان –وهو الدعوة إلى الله– بالسمع والطاعة والمناصرة لا المناوَءة والمعارضة.

الفرع الثالث: السجع

الشاهد الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾غافر: 41 –42، وهذا من توافق رؤوس الآيات مع السجع البديع، والكلام الذي يأخذ بالألباب، وهو من روعة البيان وقد أضفى على هذه الآيات الكريمة التي هي أجلى من عقود الجُمان قوة وبيانا وزادها جلاء ووضوحا"[1]؛ وهو سجع بديع فاصلته حرف الراء في كَلِمتَي ﴿ٱلنَّارِ﴾ و﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾، "ولا شك أن توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه، وهذا من بديع السجع"[2]؛ وقد جمع أسلوب الرجل المؤمن بين قوة المعاني وجودتها، وبين قوة الألفاظ وحُسنها فلم يُخِلَّ في ذلك بشيء منها فكان أسلوبه جيِّدا قويّاً، وجه الإقناع في هذه الخطاب أي حجة الرجل المؤمن على فرعون ومن في بلاطه ممن كذَّب بموسى وناصبه العداء، في كون موسى عليه السلام لصلاح نفسه وتوافق ظاهره مع باطنه يشفق عليهم ويخاف فيدعوهم إلى الجنة، وهم يسلكون سبيل الشيطان في دعوتهم إيَّاه إلى النار؛ "وشتَّان بين دعوة ودعوة، إن دعوته لهم واضحة مستقيمة، إنه يدعوهم إلى العزيز الغفار، يدعوهم إلى إله واحد تَشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره، يدعوهم إليه ليغفر لهم وهو القادر على أن يغفر، الذي تفضل بالغفران فإلى أي شيء يدعونه؟ يدعونه للكفر بالله، عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدَّعيات وأوهام وألغاز!"[3].

---

[1]– ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج: 3، ص 113.

[2] – محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2002م، ص116.

[3]– سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 5، ص3083.

الفرع الرابع: السلم الحجاجي

عند إسقاطنا لنظرية السلم الحجاجي على المدوَّنة قيد الدراسة فإننا نتحصل على النماذج التالية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ غافر: 28، كانت لهذا الرجل المؤمن كلمة مسموعة داخل قصر فرعون، وكان يظهر موافقته لقومه وفرعون، ويكتم إيمانه، فقال هذا الرجل الصالح العاقل الحازم لقومه مقبحا فعلهم من الكيد لموسى لقتله كيف تستحلون قتله لأجل أن يقول ربي الله، ولم يكن قوله مجردا عن البيان[1]؛ وإذا حلّلنا هذه الآية حجاجيا وأردنا أن نسقط عليها نظرية السلم الحجاجي فإننا نلاحظ أن فيها ترتيبا وتسلسلا في الحجج كالأتي :

في بادىء الأمر كان الرجل الصالح يكتم إيمانه في بداية دعوة موسى لقومه ثم أعلن وجهر بدعوته وأخرجها من قصر فرعون إلى الناس دفاعا عن موسى عليه السلام ودعوته.

النموذج الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾غافر: 28، والمعنى في هذه الآيات أن موسى عليه السلام بين أمرين، إما الكذب في دعواه، وإما الصدق، فإن كان كاذبا فكذبه عليه، وضرره مختص به ومتوقف عليه، وليس عليكم بذلك من ضرر، حيث امتنعتم عن عرض إجابته وتصديقه، وإن كان صادقا وقد جاءكم بالبيان وأخبركم أنكم إن لم تجيبوا دعوته عذبكم الله عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة[2].

أما حجاجيا فنلاحظ في هذه الآية أن هذا الداعية المؤمنة استخدم جملة من الحجج المتراتبة، والحجة الأولى فيها أنه إن كان كاذبا فكذبه عليه وهو بذلك ظالم لنفسه وما على قومه من حرج وإثمه عليه وحده والحجة الثانية أنه إذا كان صادقا ولم تؤمنوا به فسوف تكونون من الخاسرين في الدنيا والآخرة

[1] – ينظر: عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان، ص780.

[2] – ينظر: عبد الرحمان السعدي، المرجع نفسه، ص781.

وفي هذه الحجة تخويف من الرجل المؤمن لقومه وتحذير لهم من عذاب الله، وذلك كله دفاعا عن موسى عليه السلام ونصرة له.

النموذج الثالث: في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾غافر: 30 – 32، كرر الرجل الصالح دعوته لقومه غير يائس من هدايتهم، حيث ذكرهم بالأمم السابقة المكذبة الذين تحزبوا على أنبيائهم، أي أخشى عليكم مثل أيام العذاب التي عُذِّب بها المتحزبون على الأنبياء، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود وما أصابهم من العذاب والدمار بتكذيبهم لرسلهم[1].

وفق نظرية السلم الحجاجي فإن الرجل الصالح تدرج في الحجج حينما كان يخوف قومه من ما آلت إليه الأمم السابقة عندما كذبت أنبياءها،فالحجة الأولى التي إستعملها هي ذكر ما حل بالأمم السابقة عندما عتوا عن أمر ربهم وكذبوا رسلهم وكيف عذبهم الله جزاء بما كانوا يكسبون والحجة الثانية هي ما توعدهم به الرجل الصالح إن أقدموا على فعلتهم النكراء وهي قتل نبيهم موسى عليه السلام.

النموذج الرابع: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٤٠﴾غافر: 38 – 40، أي ليست الدنيا إلا متاعا زائلا، لا ثبات له ولا دوام، وإن الآخرة هي دار الاستقرار والخلود، التي لا زوال لها ولا انتقال منها، فإما خلود في النعيم، وإما خلود في الجحيم، فمن عمل في هذه الدنيا صالحا سواء كان ذكراً أو أنثى بشرط الإيمان فؤلئك المحسنون الذين يدخلون جنات النعيم ويُعطَون جزاءهم بغير تقدير، بل أضعافا مضاعفة من الله وإكراما[2].

[1]– ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص100.

[2]– ينظر: محمد علي الصابوني المرجع نفسه، ص103.

الخاتمة

لله أجزل الحمد على واسع إنعامه وعظيم مدده، وله الحمد على ما يسَّر من إتمامٍ لهذا البحث الموسوم بـ: ((**الحوار الإقناعي في القرآن الكريم– قصة مؤمن آل فرعون أنموذجاً –**))، وذلك بعد عرضه العرض الذي كنَّا قد بيَّنَّاه من قبل في المقدمة عند إيضاح خِطَّته فيها، ثم في المتن (في الفصلين)، ولقد خلصنا من هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- مما تأكد لدينا بعد إتمام هذا البحث أن توجه أكثر النظريات اللسانية الحديثة والمعاصرة إلى دراسة الحوار والاهتمام به لم يكن غير ذي فائدة، بل إنه ضرورة ملحَّة تفرضها العملية التواصلية وتفرضها الحياة كلُّها فرضا.

2- والذي تأكد من هذا البحث أيضا أن خيرَ سبيلٍ للنهوض بالدراسات اللسانية وإنجاحها هو المصير في دراسة الحوار وغيره من ضروب التخاطب إلى اللسانيات الغربية والنظريات الحديثة من جهة، وإلى الدراسات العربية والإسلامية عموما من جهة ثانية لإشباعه بحثا وإضفاء الصبغة والمرجعية والهوية الثقافية العربية.

3- ولقد ثبت من خلال هذا البحث أنه بين الدراسات العربية والدراسات الغربية رباط وثيق يدركه أدنى الناس تبصُّراً، حتَّى لَكأنَّ الدرسَ واحد والدراسةَ كذلك لولا أنه أُخرج في ثوب آخر غير ثوبه الأول وهو الأمر الذي لا ينكره أحد، وذلك هو معنى أن نتائج الدراسات اللسانية العربية والدراسات اللسانية الغربية واحدة ولكن المنهج مختلف.

4- ولقد بيَّن البحثُ أن الحوار أفضل من الكثير من طرائق التخاطب خصوصا الجدال والمراء، وذلك بالنظر إلى أسلوبه وآدابه وأهدافه، وأنه مهيمن عليها جميعا ومتضمَّن فيها ولو بوجه، فأصل كل كلام أنه مراجعة للحديث وتجاذب لأطرافه.

5- لقد أثبت البحث أن عماد وقوام القرآن الكريم كلِّه الحوارُ الإقناعيُّ، القائم على الدعوة بلا إكراه أو إلزام، فهو دين السماحة واليسر.

6- كما أثبت أيضا أن غاية الحوار عموما ومن ذلك حوار القرآن الكريم وفائدته لا تَتَّخذ حصول الإقناع شرطاً لها، بل تعتبر مجرَّد إقامة الحجة من المحاوِر على من يحاوره ويتلقى منه الخطاب مكسبا

ومغنما طيبا، فمهمة الأنبياء مثلا في رسالات ربهم (حواراتهم مع أقوامهم) هي مجرَّد التبليغ، أما الهداية أي: – الإقناع – فهي من الله تعالى وحده.

7- لقد كشفت الدراسة أن أفضل أساليب التوافق والتفاهم بين البشر إنما هو الحوار، وخير الحوار ما كان مِلاكه وقِوامه الإقناع بالأسلوب السلمي الهادئ والهادف لا بمنطق العنف وأسلوب الاستبداد بالرأي وفرض الرأي فرْضاً.

8- ولقد أظهرت الدراسة ثراء المدونة القرآنية بآليات الإقناع على اختلافها، كما أظهرت أن لهذه المدوَّنةِ من القوة والجزالة في الحجاج ما لا تتوفَّر عليه أية مدوَّنة أخرى، وليس ذلك فحسب بل إنها أفضل نماذج الإقناع وأكثرها تأثيراً لأنها كلام الله تعالى المعجز بأسلوبه الرفيع وبيانه البديع البليغ ذي الحُجَّة البالغة، كما جاء بذلك الوصف في القرآن الكريم الذي يُعلى ولا يُعلى عليه، فالحوار الإقناعي القرآني بحقٍّ أسمى النماذج اللغوية للتواصل على الإطلاق.

9- وأظهرت الدراسة كذلك أن للمدونة القرآنية من الخصوصيات ما ليس لغيرها من المدونات لذا وجب التحرُّز والحذر البالغ في أثناء التطبيق عليها، وإن كان ذلك في الحقيقة غير وارد بكثرة في مثل هذه الدراسة، لكنه في دراسات لغوية أخرى واضح وجليّ.

10- لقد ثبت من البحث يقيناً أن أسباب أكثر العقبات والصعاب التي يُواجهها الإنسان في حياته، وأسباب تأزم عِلاقاته مع بني جنسه سواء في الأسرة أو في المجال السياسي بين الحاكم ورعيته، أو في العملية التعليمية أحيانا، أو في غير هذه الميادين، تكمن أساسا في الاستبداد بالرأي وغياب منطق الحوار الإقناعي أو إن وُجد الحوار واستعمل في حل الأزمات وفض النزاعات فإن النية الخيرة الطيبة كثيراً ما تغيب فيه فتكون الغاية فيه التسلط و حب الانتصار للنفس فيغيب الإقناع ويُفرغ الحوار من محتواه ويحيد عن مقصوده.

11- ومما تقرر لدينا في هذه الدراسة أن من أكثر أنواع التواصل التزاما بآداب التخاطب الحوارُ، وأن أحقَّ النماذج من المدوَّنات التزاما بآداب الحوارِ القرآنُ.

ولقد توصَّلنا إلى جملة من التوصيات ومن أهمِّها:

1- ضرورة تفعيل منطق الحوار في كل مجالات الحياة وشؤونها بدءً بمصدر التربية الأول وهو البيت ثم المؤسَّسة التعليمية وهي المدرسة ثم المجتمع عموما كالشارع وصولا إلى السياسة والحكم، لأجل فض كل النزاعات وتجاوز مختلف الأزمات، شرط أن تكون النوايا فيه حسنة، أي أن يكون حواراً إقناعيّاً مثمراً وبنَّاء، لا أن يكون حوارَ من يخفي نزعة الشَّرِّ والجور والإكراه ويُظهر منطق الاحترام والعدل والمساواة، وتقبُّل الآخر.

2- ضرورة التحرُّز والتأني في إطلاق الأحكام على النصوص الشرعية عموما وبالأخص منها القرآن الكريم والحديث النبوي، في أثناء تطبيق المناهج الغربية على مدوّنته فليست الدراسة في مثل هذه المناهج والنظريات كالدراسة لأمور مستمدة من أفكار ومبادئ ولغة القرآن العظيم ذاته كدراسة الصرف والنحو مثلا.

3- الحوار وكذا الإقناع موضوعان جِدُّ ثَرِيّينِ بالمباحث اللغوية، أضف إلى ذلك أن نوعية الدراسة والطرح المعاصر فيهما بحاجة إلى مزيد من البحث خصوصا عند اللسانيين العرب، كما أن الحاجة إليهما ماسَّة، لذلك فالدعوة إلى مزيد العناية بهما متجدِّدة دوماً، عسى أن تُفيد دراستهما في درء ودفع ألوان العقبات والصعاب في التواصل الإنساني من جهة، وأن تثري المخزون اللساني والبحوث اللغوية من جهة أخرى.

4- هذه المدوَّنة - قصة مؤمن آل فرعون – نفسُها، على الرغم من وجازتها إلا أن فيها من الأساليب والمباحث ما ليس يسعه بحال البحث والبحثان من مثل مذكرتنا هذه إن أريد لها الإحاطة التامَّة بالموضوع كله وإشباعه بالدراسة.

وختاماً فإن هذا لهو ما وفقنا الله تعالى لتحريره ثم إخراجه بهذه الحلة، ولولا أن قيد الوقت أوَّلاً وقيد الحجم ثانيا هما اللذان حالا دون مزيد البحث فيها لكان لها بإذن الله من الدراسة ما نحسب أنه يوفي بالواجب، ويقدرها قدرها بعون الله الكريم، وليس هذا الكمال السرمديُّ من شساعة

الموضوع وثراء مادته إلا لآي الله العظيم، فلله الحمد أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه، وعلى الآل والصحب كلهم، وعلى كل تابع.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: الكتب والمذكّرات

1. ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة – دراسة تداولية –، أطروحة دكتوراه، إشراف: السعيد بن خراف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009م- 2010م.

2. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، دط، دب، دت.

3. أحمد بن خليل شاهين، المفتاح لأهل القرآن مما لا يسع حامل القرآن جهله من علوم القرآن، دد، دط، دب، 20- 03- 1432هـ.

4. أحمد بن سيف الدين تركستاني، الحوار مع أصحاب الأديان، مشروعيته وآدابه، دد، دط، دب، دت.

5. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، دد، ط1، مصر ، 1365هـ - 1946م.

6. أبو إسحاق أحمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1422هـ - 2002م.

7. إسحاق محمد الأمين، الأساس البنيوي الوظيفي لإعداد الحوار التعليمي وتدريباته، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، دد، دط، دب، دت.

8. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1407هـ- 1987م.

9. أنور الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات، ودار ابن حزم، ط1، القاهرة، 1435هـ- 2013م.

10. أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ- 1998م.

11. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، ط5، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م.

12. أبو بكر الرازي، معجم مختار الصحاح، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1435هـ- 2014م.

13. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، الدار البيضاء، منتديات سور الأزبكية، 1426هـ- 2006م.

14. البيهقي أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، ط1، دب، دت.

15. الترمذي، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، وآخران، شركةُ مكتبةِ ومطبعةِ مصطفى البابي الحلبي، دط، مصر، 1395هـ - 1975م.

16. تقي الدين أحمد بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، المملكة العربية السعودية، 1411هـ- 1991م.

17. أبو جعفر الطبري (محمد بن جرير) جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، دب، 1420هـ- 2000م.

18. جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة الصفا، ط1، القاهرة، 1425هـ- 2004م.

19. جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2004م.

20. حازم بن محمد ابن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دد، دط، دب، دت.

21. حسان شمسي باشا، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان، دار القلم، ط6، دمشق، 1428هـ- 2007م.

22. حسن أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، دب، 1399هـ- 1979م.

23. حسن علي الماوردي، تفسير الماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت.

24. حسن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوُودي، دار القلم، الدار الشامية، ط:1، دمشق، بيروت، 1415هـ.

25. حصة بنت عبد الرحمان، الحوار الأسري التحديات والمعوقات دراسة وصفية تحليلية، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، السعودية، 1431هـ- 2010م.

26. حمزة أبو فارس، الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، الدورة الحادية والعشرون لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة التعاون الإسلامي، دد، دط، دب، 1435هـ- 2013م.

27. ابن الحنبلي، استخراج الجدل من القرآن الكريم، المصدر، دد، دط، دب، دت.

28. حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، رسالة ماجستير، دط، إشراف: أ.د. عز الدين صحراوي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1434هـ- 2013م.

29. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، دط، بيروت، 1420هـ.

30. خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، شرح العقيدة الطحاوية، دد، دط، دب، دت.

31. خالد بن عبد الله القاسمي، الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، دار المسلم، ط1، الرياض، دت.

32. خالد مسعود الحليبي، مهارات التواصل مع الأولاد- كي يكتسب ولدك، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، ط1، دب، 1431هـ.

33. خلود بنت محمد السلطان، فاعلية الأساليب الإقناعية في بناء الرسالة الصحية التوعوية، مذكرة ماجستير، إشراف: أ. د، عبد الله بن صالح الحقيل، كلية الدعوة والإعلام، المملكة العربية السعودية، 1431هـ- 2010م.

34. خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، دط، دب، دت.

35. عبد الرب نواب الدين آل نواب، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، وزارة الأوقاف السعودية، دط، دب، دت.

36. عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، دب، 1420هـ- 2000م.

37. عبد الرزاق بن عثمان التويجري، وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار، دد، دط، دب، دت.

38. زين الدين محمد (عبد الرؤوف المناوي)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ- 1990م.

39. سعد بن ناصر الشتري، أدب الحوار، دار كنوز إشبيليا، ط1، الرياض، السعودية، 1427هـ-2006م.

40. سيد قطب، في ظلال القرآن، الشروق، ط38، القاهرة، 1430هـ- 2009م.

41. سيف الدين شاهين، أدب الحوار في الإسلام، دار الأفق، ط1، الرياض، 1414هـ-1993م.

42. شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1425هـ.

43. شوقي أبو خليل، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، دار الفكر، ط1، دمشق، سورية، 1994هـ.

44. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، جدة، مكة، 1425هـ- 1494م.

45. بو صلاح فايزة، الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام- مقاربة تداولية-، رسالة ماجستير، إشراف: د. بن عيسى عبد الحليم، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران- السانيا-، 2010م.

46. طه عبد الرحمان، التواصل والحِجَاج، مطبعة المعارف الجديدة، دد، دط، أكادير، الرباط، دت.

47. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان(التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دط، المغرب، 1998م.

48. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، المغرب، 2000.

49. عائشة عويسات، تواصليه الأسلوب في رومانسيات أبي الفرس الحمداني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 1431هـ- 2010م.

50. عائض القرني، الخلاف أسبابه وآدابه، دد، دط، دب، دت.

51. أبو العباس أحمد (ابن عجيبة)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي، حسن عباس زكي، دد، دط، القاهرة، 1419هـ.
52. عباس أحمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، دط، بيروت، دت.
53. عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه وتطبيقاته التربوية، أطروحة للماجستير في التربية الإسلامية بقسم التربية، إشراف: د. عبد الرحمن بن رجاء الأحمدي، الجامعة الإسلامية، دط، المدينة المنورة، 1433هـ- 1434هـ.
54. عدنان محمود محمد الكحلوت، وسائل الإقناع والتأثير في الخطاب الديني، دد، دط، غزة، دت.
55. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، تونس، 2011م.
56. عصام البشير، الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، الدورة العشرون لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة التعاون الإسلامي، دد، دط، دب، دت.
57. عقيل بن محمد المقطري، أدب الاختلاف، دار بن حزم، ط1، دب، 1414هـ- 1993م.
58. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المكتبة التوفيقية، ط3، القاهرة، مصر، 2015م.
59. علي بن نايف الشحوذ، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، دد، دط، دب، دت.
60. عمر بن عبد الكامل، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، بحث مقدم إلى: المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دط، دب، دت.
61. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ.
62. فضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، ط8، بيروت، لبنان، 2008.
63. فيصل بن عبده قائد الحاشدي، فن الحوار أصوله وآدابه- صفات المحاور، دار الإيمان، دط، الإسكندرية، 2003م.
64. عبد القادر آل غازي، بيان المعاني، مطبعة الترقي، ط1، دب، 1382هـ - 1965م.

65. أبو القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

66. أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1433هـ-2012م.

67. القاضي أبو يعلى محمد، العدة في أصول الفقه، تح: أحمد بن علي بن سير المباركي، دد، ط2، دب، 1410هـ- 1990م.

68. عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآيات والسور، تح: طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، ط1، عمان الأردن، 130هـ- 2009م.

69. ابن كثير، قصص القرآن، تح: أحمد بن شعبان، دار البشير، الشارقة، الإمارات، دار عباد الرحمان، ط1، القاهرة، مصر، 1434هـ- 2013م.

70. عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر، دت.

71. عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، دت.

72. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، ط1، الرباط، 1434هـ-2013م.

73. عبد الله بكلي، منهج القرآن في حوار الأديان الحوار الإسلامي المسيحي نموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: أ.د محمد بن موسى بابا عمي،كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر01، بن يوسف بن خدة، دت.

74. عبد الله حسين الموجان، الحوار في الإسلام، مكتبة الملك فهد، ط1، جدة، 1427هـ-2006م.

75. أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1420هـ.

76. عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، دد، ط2، القاهرة، 1384هـ - 1964م.

77. عبد الله مصطفى العدوي، أدب التخاطب، دار الأندلس الخضراء، ط1، جدة، 1420هـ- 1999م.

78. ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: بلقاسم دفة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، دت.

79. مجد الدين محمد الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 1426هـ- 2005م.

80. مجد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكلام المبين، مؤسسة الريان، ط2، بيروت، لبنان، 1431هـ- 2010م.

81. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، القاهرة، (1393هـ- 1973م)- (1414هـ- 1993م).

82. مجير الدين المقدسي، فتح الرحمان في تفسير القرآن، تح: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِية)، ط1، دب، 1430هـ- 2009م.

83. محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم بجدة، دط، دت.

84. محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (تفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، ط4، دب، 1417هـ.

85. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، دط، تونس، دت.

86. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2002م.

87. محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1405هـ - 1985م.

88. محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001م.

89. محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 2، دت، دب.

90. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، دب، 1422هـ.

91. محمد بن صالح العثيمين، تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تح: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط3، دب، 1415هـ- 1995م.

92. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

93. محمد بن عمر الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تح: محمد أمين الصاوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ.

94. محمد بن محمد أبو فيض (الزبيدي) ، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، دط، د ت.

95. محمد حسن بخيت، أدب الحوار، مؤتمر الجامعة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 7-8- ربيع الأول 1426 هـ -16-17 أبريل 2005م.

96. محمد حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة مصطفى ماهر، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية دط، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1423هـ- 2002م.

97. محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الكتاب الجديد، ط1، بيروت لبنان، 2008م.

98. محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر، دط، القاهرة، 1997.

99. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، ط1، القاهرة، فبراير1997م.

100. محمد صالح المنجد، سلسلة الآداب، دروس صوتية مفرغة، دط، دب، دت.

101. محمد عز الدين عبد السلام، تفسير القرآن، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1416هـ- 1996م.

102. محمد علي الصابوني (تحقيق واختصار)، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، ط7، بيروت – لبنان، 1402هـ - 1981م.

103. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، 1420هـ، 2000م.

104. محمد فتحي، الطريق إلى نعم- التفاوض مهارات ومفاهيم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، القاهرة، مصر، 1425هـ- 2004م.

105. محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح: الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، دب، 1429هـ- 2008م.

106. محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، دط، دب، 1425هـ- 2005م.

107. محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار الكتب، دط، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.

108. محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، دط، دب، 2004م.

109. محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4، حمص، سورية، 1415هـ.

110. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، دت.

111. معاذ موسى بن يحيى الفيفي، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟ ، دار الخضيري، دط، المدينة النبوية، 1427هـ.

112. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، دب، 1421هـ- 2000م.

113. نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري، وآخران، دار الفكر المعاصر، ط1، (بيروت- لبنان)، دار الفكر، دط، (دمشق-سورية)، 1420هـ- 1999م.

114. عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004م.

115. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1422هـ.

116. يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، ط1، مكة المكرمة، 1414هـ- 1994م.

117. يوسف ابن المبرِّد الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تح: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1420هـ- 2000م.

. ثانيا: المجلات

1. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، الحوار والمناظرة في الإسلام، أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: 46، دب، محرم، 1430هـ.

2. سعد عبد الله عاشور، ضوابط الحوار مع الآخر، مجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، المجلد: 16 العدد: 1، غزة، فلسطين، يناير 2008م.

3. صابر الحباشة، الحجاج في التداولية، مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات، (مجلة علمية محَكَّمة)، كلية الآداب، البحرين، د عدد، 2011م.

4. منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، العدد: 11، جدة، دت.

5. نبهان حسون السعدون، يوسف سليمان الطحان، الحوار في القصة القرآنية، قصة موسى عليه السلام أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، المجلد: 7، العدد: 4، دب، 2008م.

6. ندى لقمان محمد أمين الحبار، إيمان عبد الجبار أحمد، أثر استخدام طريقة الحوار في تحصيل طلاب الثانويات الإسلامية في مادة الحديث النبوي الشريف وتنمية الثقة بأنفسهم، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد: 11، العدد: 4، دب، 2011م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

1. سلمان العودة، أساليب الحوار، موقع سلمان العودة، الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية: http://salmanalodah.com/main

2. محمد جبر الألفي، تعريف الحوار، موقع الألوكة الاجتماعية، الشبكة العنكبوتية، الصفحة الآتية: http://www.alukah.net/social

3. محمد فقهاء، أسلوب الحوار وآدابة وقواعده وآفاته، موقع الألوكة الاجتماعية، الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية: http://www.alukah.net/social

4. لم يُذْكر صاحبه، من أساليب الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، موقع الألوكة الإجتماعية، من الصفحة الآتية: http://educislam.over-blog.fr/article.html

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب- ج – د- هـ
الفصل الأول: المفاهيم النظرية للحوار الإقناعي	
تمهيد	3
المبحث الأول: تحديد المصطلحات	7
المطلب الأول: مفهوم الحوار	7
الفرع الأول: الحوار لغة	7
الفرع الثاني: الحوار اصطلاحا	7
المطلب الثاني: مفهوم الإقناع	8
الفرع الأول: الإقناع لغة	8
الفرع الثاني: الإقناع اصطلاحا	9
المطلب الثالث: المصطلحات ذات الصلة بالحوار	10
الفرع الأول: مفهوم الجدل	10
الفرع الثاني: مفهوم الحجاج	12
الفرع الثالث: مفهوم المناظرة	14
المطلب الرابع: العلاقة بين الحوار والمصطلحات القريبة منه: (الجدال والمحاجَّة والمناظَرة)	15
الفرع الأول: الفرق بين الحوار والجدال	15
الفرع الثاني: الفرق بين الحوار والحجاج	16
الفرع الثالث: الفرق بين الحوار والمناظرة	17
المبحث الثاني: مبادئ الحوار الإقناعي وركائزه	20

المطلب الأول:آداب الحوار 20
الفرع الأول: الآداب النفسية 22
الفرع الثاني: الآداب العلمية 27
المطلب الثاني: أهداف الحوار 36
المطلب الثالث: أهمية الحوار 38
الفرع الأول: أهمية الحوار في المجال الدعوي 39
الفرع الثاني: أهمية الحوار في المجال التربوي(الأسري) 40
الفرع الثالث: أهمية الحوار في المجال التعليمي 41
المطلب الرابع: أساليب الحوار 43
المطلب الخامس: آليات الإقناع 51
الفرع الأول: الآليات البلاغية 53
الفرع الثاني: الآليات اللغوية 55
الفرع الثالث: السلم الحجاجي 58
الفصل الثاني: تحليل آليات الإقناع في قصة مؤمن آل فرعون
تمهيد 63
المبحث الأول: الآليات اللغوية 64
المطلب الأول: التعريف بقصة المؤمن 64
الفرع الأول: سبب تسمية السورة 64
الفرع الثاني: أغراضها 65
الفرع الثالث: فضلها 65
الفرع الرابع: التعريف بمؤمن آل فرعون 66
المطلب الثاني: ألفاظ التعليل 67
الفرع الأول: لام التعليل 67

الفرع الثاني: المفعول لأجله 68
المطلب الثالث: الأفعال اللغوية 70
الفرع الأول: الاستفهام 70
الفرع الثاني: الأمر 73
الفرع الثالث: النفي 76
المطلب الرابع: الوصف 83
الفرع الأول: الصفة 83
الفرع الثاني: اسم الفاعل 86
المبحث الثاني: الآليات البلاغية 91
المطلب الأول: الصور البيانية 91
الفرع الأول: الاستعارة 91
الفرع الثاني: التشبيه 94
الفرع الثالث: الكناية 96
المطلب الثاني: المحسنات البديعية 97
الفرع الأول: الطباق 97
الفرع الثاني: المقابلة 98
الفرع الثالث: السجع 101
الفرع الرابع: السلم الحجاجي 102
الخاتمة 105
قائمة المصادر والمراجع 110
فهرس المحتويات 122

تم بحمد الله